الآثار النبوية

بالمدينة المنورة

وُجُوبُ المُحَافظَةِ عليها وجوازُ التبرُّكِ بها

تأليف

الدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري

وقف لله تعالى

١٤٢٧هـ

الآثار النبوية

بالمدينة المنورة

وُجُوبُ المُحَافَظَةِ عَلَيْهَا

وَجَوَازُ التَّبَرُّكِ بِهَا

بقلم الدُّكتور

أَبِي مُجَاهِدٍ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِالفَتَّاحِ القَارِئِ

وقف لله تعالى

١٤٢٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الآثار في رأيي ثلاثة أصناف:

(١) آثار تاريخية: يهتم بها دارسوا التاريخ والحضارة، والمهندسون؛ كأنواع المباني القديمة، والمدنِ القديمةِ، والأدواتِ الحضارية التي تَكْشِفُ عنها الحفرياتُ، من أَوَانٍ ونقودٍ، وأسلحةٍ، ونحوها، وأوضحُ مثالٍ لهذا النوع مدائنُ صالح في الشمال الغربي للمملكة، والأخدودُ في نجران في الجنوب الغربي.

(٢) آثار خرافية: وهذه يُعنَى بها «الخرافيون» وأكثرها يدور حول القبور وما يُقَام عليها من أَضْرحة ويُبْنَى عليها من مساجد، وأوضح مثال له في المملكة: ضريح آمنة أم الرسول ﷺ بالأبواء؛ وكان قائماً إلى عهد قريب، وضريحُ «علي العُرَيْضِي» بحرة العُرَيض بالمدينةِ النبويةِ، عليه مسجد ومنارة،

وكان يأتي بعض «الخرافيين» من حضرموت وغيرها فيعكفون عنده أياماً، وعكف أحدهم شهراً، و«علي العُرَيْضِي» هذا من آل البيت من أحفاد جعفر الصادق، وقد تم هَدْمُ المسجد والضريح، وبَالَغَ من هدمهما فنبَشَ القبرَ، وأخطأ في ذلك، ولو اكتفى بهدم البناء الذي عليه وأبقاه مُسَوًّى بالأرض لكفَى؛ لأن النبي ﷺ قال لعلي: (..وألا تَدَعَ قبراً مُشْرِفاً إلا سَوَّيْتَهُ) لم يقل: (نَبَشْتَهُ) !!

(٣) **آثار إسلامية**: وهذه التي تتعلق بالسيرة النبوية ومغازي الرسول ﷺ؛ من مواقع: كموقع غزوة بدر، وموقع غزوة أحد، وموقع غزوة الخندق، وجبالٍ: كجبل أحد، وجبل عير، وجبل ثور، وجبل عينين (جبل الرماة)، وحصونٍ: كحصن كعب بن الأشرف النضري اليهودي، وحصن مرحب بخيبر، وآطامٍ: كأُطُمِ صِرَارٍ (لبني حارثة) وأُطُمِ الضَّحْيَان، وأُطُم بني وَاقِفٍ، وآبارٍ: كبئر حَاء، وبئر

رُومَة، وبئر أَرِيس (بئر الخاتم)، وقصورٍ: كقصر سعيدِ بن العاص بالعقيق، ودورٍ: كدارِ أبي أيوب الأنصاري التي نزل بها النبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة في الهجرة، ومساجدَ نبويةٍ: كمسجد القبلتين (لبني سَلِمَةَ) ومسجدِ المُسْتَرَاح، ومسجد الجمعة، ومسجد الفَضِيخ (في بني قريظة)، وعدَّ «ابنُ شَبَّة» في تاريخه للمدينة أكثرَ من ثلاثين مسجداً، بناها عمر بن عبد العزيز بمحضرٍ من الصحابة عند ما كان أميراً على المدينة، ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح روايةَ ابنِ شبةَ هذه، وتسميةَ هذه المساجد..

ومن هذا القسم الآثارُ الإسلاميةُ المتعلقةُ بما بعد العهد النبوي من عصور التاريخ الإسلامي، وقد كان في حارة «الأغوات» بالمدينة النبوية أبنيةٌ لِمَدَارس وأربطةٍ من العصر العباسي، وكان من أبرز هذه الآثار مكتبةُ عارف حكمت التي كانت في الجزء الجنوبي الشرقي من المسجد النبوي، وقد بُنِيتْ في مكان بيت السبط الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي اللهُ عنهما-

وفي شرقي هذه المكتبة دار أبي أيوب الأنصاري بينهما زقاق عرضه أربعة أمتار تقريباً. ونحن في هذه الدراسة لا يهمنا الصنف الأول فهناك من يهتم به وهو نوع من الدراسات التاريخية والحضارية وربما الهندسية لا يلامون عليه، فلكل علم أهله..

مع أن الكشف عن آثار مَنْ قَبْلَنا مِنَ الأمم داخل في معنى الاعتبار المأمور به في القرآن:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً..﴾[2] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً..

---

(١) [غافر: ٨٢].

(٢) [القصص: ٥٨].

وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾(١) .

أما الصنف الثاني فهو ما يجب أن نحاربَـهُ ونعلنَ النكيرَ عليه ، لما فيه من ذريعةِ الشرك ، ولمخالفتِهِ الصريحةِ للنصوص الثابتةِ الدالةِ على تحريمِ البناءِ على القبور ، وذَمِّ شأنِ من فَعَلَ ذلك من اليهود والنصارى ، وتحذيرِ هذه الأمةِ من تقليدِهِم .

يُستثنَى من ذلك البناءُ الذي حولَ القبر النبوي الشريف وفوقَهُ ؛ فأولُ ما بُنِيَ حولَ قبر النبي ﷺ ، أو حولَ بيتِ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها الذي فيه القبر النبوي وقبرا الصاحبين رضي الله عنهما هو الجدار المُخَمَّسُ الذي بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله عام (٨٩) من الهجرة أو بعدها عند ما كان أميراً على المدينة من قِبَلِ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، وذلك بمحضرٍ من بعض الصحابة ، وبمحضرٍ من التابعين بالمدينة ، ولم ينكروا عليه ؛ بل ساعدوه على ذلك

---

(١) [يونس: ٩٢] .

فاقترح عليه التابعي الجليل عروة بن الزبير أن يجعل الجدار مُخَمَّساً ؛ حتى لا يشبه تربيعُهُ تربيعَ الكعبةِ ، وحتى لا يتسنَّى لمن صَلَّى شمالَ الحجرة النبوية استقبالُ القبر[١] .

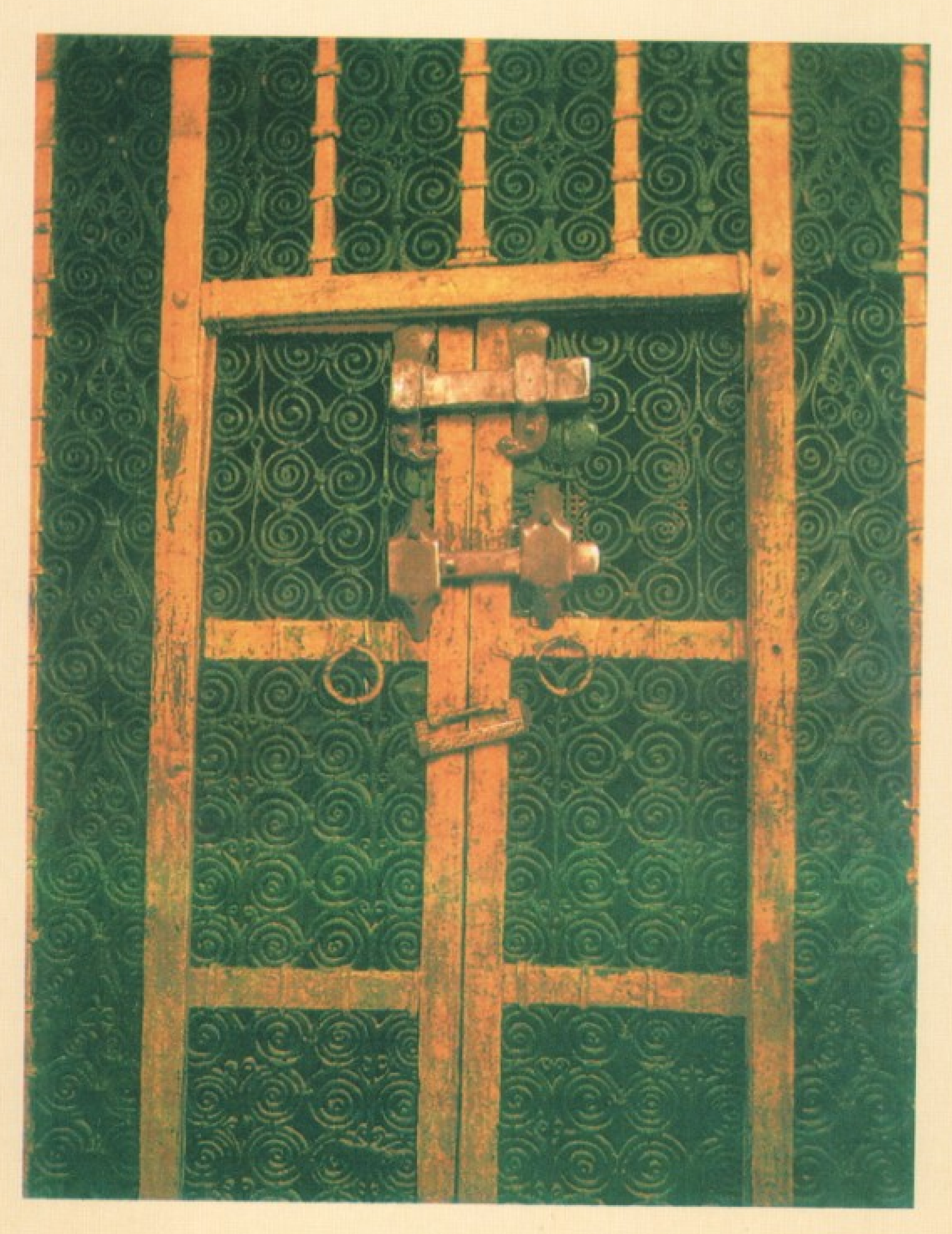
ثم إن النبي ﷺ دُفِنَ ابتداءً في داخل بناءٍ مسقوفٍ هو بيتُ أمِّ المؤمنين عائشةَ الذي ذكرنا ، وذلك لِمَا رَوَىٰ أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما دُفِنَ نبيٌّ قطُّ إلَّا حيثُ قُبِضَ)[٢] فدُفِنَ ﷺ في مكان سريره من بيت أم المؤمنين عائشة.

والصحابة لم يفكروا -أيٌّ منهم- في هَدْمِ بيتِ عائشةَ بَعْدَ ذلك خاصةً بعد وفاتها سنة (٥٨) فهو إجماعٌ منهم على استثناءِ القبر النبوي .

والبناءُ حولَ القبر والقبةُ فوقَهُ هو لحمايةِ القبر النبوي من أن تُنْتَهَكَ حرمَتُهُ من قِبَلِ مَنْ تُسَوِّلُ له نَفْسُهُ من أهل الكفر من

(١) انظر وفاء الوفاء [ص/ ٥٤٨] .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ [١/ ٢٣١] وابن ماجة [١/ ٥٢١] .



(١) الباب الشرقي للحُجْرة النبويـة الشريفـة .

يهود أو نصارى ، ولحمايته أيضاً من انتهاك أهلِ البدع ؛ خاصةً الروافض ؛ فإنهم لو تمكنوا لسجدوا على قبر النبي ﷺ وعبدوه ، ولأهانوا قَبْرَي الصاحبين ؛ والنبيُّ ﷺ قد دَعَا ربَّـهُ أَلَّا يُمَكِّـنَ أحداً من عبادةِ قَبْرِهِ ؛ فقـال ﷺ: (اللهـم لا تَجْعَـلْ قَـبْرِي وَثَنَاً يُعْبَد)[١] وقد أجاب الله دعـاءَ نبيِّـهِ ﷺ فأَحَاطَـهُ بهـذه الجـدران حولَ قـبره ، وبهـذه الـسُّقُوفِ مـن فوقِـهِ ، قـال ابـنُ القـيم في «النونية»:

وَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِينَ دُعَاءَهُ ... فَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُـدْرَانِ[٢]

أما **الصنف الثالث**: فهو ما ينبغـي أن نُعْنَـى بـه ونحـافظَ عليه تَأَسِّياً بالصحابةِ والتـابعين الـذين فَعَلُـوا ذلـك بمحـضرٍ من بعضِ الصحابةِ وعلى رأس التابعين عمرُ بْـنُ عبـد العزيـز

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ [١/ ١٧٢] .

(٢) وراجـع هـذا المعنـى لـشيخ الإسـلام ابـن تيميـة في الـرد عـلى الأخنـائي [ص/ ٢١٣-٢١٤] .

-رحمه الله- الذي كان أولَ من تتبع المواقعَ النبويةَ وبَنَى عليها المساجدَ عند ما كان أميراً على المدينة ، وقد شاور في ذلك من حضره من الصحابة ، وشاور كبار التابعين بالمدينة فدلوه على هذه المواقع[1].

وقد نقل ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح[2] وشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الأخنائي[3] كما سيأتي بيانه..

وفائدة المحافظة على هذا الصنف من الآثار النبوية:

أولاً: (الاعتبار): نَصَّ على ذلك بعضُ الصحابةِ ، وكبارُ التابعين بالمدينة ، وبيانه فيما يأتي:

لما هَدَمَ عمرُ بْنُ عبد العزيز بيوتَ أزواجِ النبي ﷺ ، وكانت ملتصقةً بجدار المسجد النبويِّ وأدخلها في المسجد عند

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة [١/ ٧٤].

(٢) فتح الباري [١/ ٥٧١].

(٣) طبعة دلهي [على هامش الرد علي البكري] [ص١٩٠].

توسعته بأمر من الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، ومنها بيتُ أمِّ المؤمنين عائشة وفيه القبورُ الثلاثة: قبر النبي ﷺ وقبرا الصاحبين ، فصارت القبور الثلاثة الشريفة داخلَ المسجدِ ، وحَزِنَ الناسُ حُزْناً شديداً ، قال عطاء الخراساني(١):

«أدركْتُ حجراتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ من جريدٍ على أبوابها المُسُوحُ من شَعرٍ أسود ، قال فحضرْتُ كتابَ الوليد يُقْرَأُ فأَمَرَ بإدخالها في المسجد فما رأيْتُ يوماً كان أكثَرَ من ذلك اليوم باكياً ، فسمعْتُ سعيدَ بْنَ المُسيِّبِ(٢) يقول: والله لَوَدِدْتُ أنهم تركوها

---

(١) عطاء الخراساني ابن أبي مسلم روى عن سعيد ابن المسيب ، وقال ابن معين: سمع من ابن عمر ، روى عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قدمت المدينة وقد فاتني عامة الصحابة ، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة ودفن ببيت المقدس [الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٠] .

(٢) سعيد بن المُسيِّب بن حزن المخزومي القرشي ، مولده لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ، مات سنة ثلاث وتسعين [مشاهير علماء الأمصار لابن حبان / ص٦٣] .

على حالها ينشأ ناسٌ من المدينةِ ويقدُمُ قادمٌ من الأفق فيَرَى ما أُكْرِمَ به النبي ﷺ في حياته فيكون ذلك مما يُزهِّد الناسَ في التكاثر والتفاخر».

وفي رواية ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، قال سعيد بن المسيب: «وَدِدْتُ لو تركوا لنا مسجدَ نبيِّنا على حالِهِ وبيوتَ أزواجِهِ ومنبرَهُ لِيَقْدُمَ القادمُ فيعتبر»[1].

وقال عمران بن أبي أنس[2]: «رأيتُنِي وأنا في المسجد فيه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وخارجة بن زيد، وإنهم يبكون حتى أخْضَلَ الدمعُ لحاهم، وقال يومئذ أبو أمامة:

(١) الردّ على الأخنائي [ص/ ١٩٠].

(٢) عمران بن أبي أنس القرشي العامري المصري، مولى أبي خراش السلمي، مدني نزل الإسكندرية، أدرك عدداً من الصحابة، وسمع منهم، توفي سنة (١١٧هـ) ترجمته في تهذيب الكمال للمزي [٢٢/ ٣٠٩].

«ليتها تُركتْ حتى يَقْصُرَ الناسُ عن البناء ويَرَى الناسُ ما رضي الله لنبيِّهِ وخزائنُ الدنيا بيدِهِ»[١].

قال إسحاق بن إبراهيم ابن راهَوَيْه[٢]:

«ومِمَّا لَمْ يَزَلْ من شأنِ من حَجَّ المرورُ بالمدينةِ والقَصْدُ إلى الصلاةِ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ، والتبرُّكُ برؤيةِ روضتِهِ ومنبرِهِ، وقبرِهِ، ومجلسِهِ، وملامِسِ يَدَيْهِ، ومواطِئِ قدميهِ والعمودِ الذي كان يستندُ إليهِ، وينزلُ جبريلُ بالوحي فيه عليه، وبمن عَمَّرَهُ وقَصَدَه من الصحابةِ، وأئمةِ المسلمين **والاعتبارُ بذلِكَ كلِّهِ**»[٣].

---

(١) الرد على الأخنائي [ص ١٩٠].

(٢) إسحاق بن إبراهيم المشهور بابن راهويه شيخ الإمام أحمد، أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي، قال الذهبي: الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ، توفي سنة (٢٣٨هـ). قال الحميدي: ما دمتُ بالحجاز وأحمد بالعراق وابن راهويه بخراسان لا يغلبنا أحد. [سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨].

(٣) الشفا للقاضي عياض [٢/ ١٩٧] وانظر الرد على الأخنائي [ص ٢١٢].

هذه النصوص عن السلف تدل على أن الإبقاء على آثار النبي ﷺ (مسجده الذي بناه، بيوت أزواجه، منبره) ونحو ذلك، مقصد شرعي فائدته (الاعتبار).

الفائدة الثانية: التبرك بالآثار النبوية، من مساجد ودور، وآبار.. ، ونحو ذلك..

والتبرك بالنبي ﷺ ومتعلقاته أمر مشروع فعله الصحابة والتابعون، وعليه الأئمة المتبوعون، ونقل عن الإمام أحمد أنه كانت لديه شعرة من شعر النبي ﷺ يتبرك بها[1].

والتبرك بمتعلقات النبي ﷺ لا يُشترط فيه العلمُ القطعيُّ بثبوت اتصالِ الأثر بالنبي ﷺ، بل يكفي لثبوته الظنُّ الراجحُ كما هو الشأن في سائر المسائل الشرعية..

وإلا فكيف توافرَ للإمام أحمد (رحمه الله) العلمُ القطعيُّ بأن تلك الشعرة التي كان يتبرك بها كانت من شعر النبي ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء [١١/ ٢١٢].

وبينه وبين النبي ﷺ قرنان ونصف من الزمان ، وخبر هذه الشعرة ذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الإمام أحمد من رواية ابنه عبد الله[١] .

ولما سُئل الإمام عن التبرك بالمنبر أباحه واستدل بأن الصحابة كانوا يمسحون أيديهم علىٰ رمانة المنبر ، وكان النبي ﷺ يضع يده الشريفة عليها عند ما يخطب[٢] .

ومنه قَصْدُ **الآبار النبوية** التي نُقل أن النبي ﷺ تَفَلَ فيها أو صَبَّ وُضُوءَه فيها ، أو سقط شيءٌ من مُتعلَّقَاته فيها ؛ كبئر أَرِيس التي سقط فيها خاتَمُهُ ، بقصد التبرك بالشرب منها فهذا أمر مشروع لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ ، لا فرق في الحكم بينه وبين وُضُوئِهِ ﷺ الذي كان الصحابة يتسابقون إلى التبرك به. وكذلك **قصد البقاع** التي صَلَّى فيها [المساجد

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي [١١/ ٢١٢] .

(٢) المصدر السابق .

النبوية] والتبرك بالصلاة فيها أمر مشروع ؛ لأنه متفرع من مسألة التبرك بالنبي ﷺ، وثبت من فعل كثير من الصحابة والتابعين وفيه نص قطعي مرفوع ؛ وليس مع المانعين سوى حديث موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه..

وإليك تفصيل ذلك..

التأصيل الشرعي للمسألة

مسألة التبرك بما يسمى (الآثار النبوية المكانية) أي الأماكن التي وُجِد فيها النبي ﷺ أو صَلَّى فيها أو سَكَنَ بها ؛ أو مَكَثَ بها ولو لبرهةٍ، الأصلُ فيها ما رواه البخاري ومسلم(١) عن عِتْبَان بن مالكٍ الأنصاري رضي الله عنه رضي الله عنه:

ولفظ البخاري: أنَّ عِتْبَان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ مِمَّن شهِد بدراً من الأنصار أَتَىٰ رسولَ الله ﷺ

(١) البخاري [انظر فتح الباري ١/ ٥١٩] ومسلم في الإيمان [النووي ١/ ٢٤٤].

فقال: يا رسول الله قد أنكرْتُ بصري وأنا أُصلِّي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدَهم فأُصلِّيَ بهم، وَوَددْتُ يا رسول الله أنك تأتيني فتصلِّيَ في بيتي فأتَّخِذَهُ مصلًّى. قال: فقال له رسول الله ﷺ: (سأفعلُ إن شاء الله) قال عِتبان: فَغَدَا رسول الله ﷺ وأبو بكر حينَ ارتفعَ النهارُ، فاستأذَنَ رسولُ الله ﷺ فأذنْتُ له، فلم يجلس حتى دخل البيتَ، ثم قال: (أين تحب أن أصلِّيَ من بيتك؟) قال: فأشرْتُ له إلى ناحيةٍ من البيت، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ فكبَّرَ، فقمنا فصَفَفْنَا، فصلَّىٰ ركعتين ثم سلَّمَ، قال: وحبسْناه على خَرِيزَةٍ صنعناها.. الحديث[1].

والدلالة من هذا الحديث واضحةٌ في قول عِتْبان رضي الله عنه (فأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى) وفي إقرار النبي ﷺ، ومعنى قول عِتْبان هذا: لأتبرك بالصلاة في المكان الذي ستصلي فيه. قال الحافظ

---

(١) البخاري في الصلاة (باب المساجد في البيوت) [الفتح ١/ ٥١٩].

ابن حجر: «وفيه التبرُّك بالمواضع التي صلَّى فيها النبي ﷺ أو وطئها. قال: ويُسْتَفَادُ منه أَنَّ مَنْ دُعِيَ من الصالحين لِيُتَبَرَّكَ بِهِ أنه يجيبُ إذا أَمِنَ الفتنةَ»[١].

وقد علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على هذه الفقرة بقوله: «هذا فيه نظر، والصواب أن مثل هذا خاص بالنبي ﷺ لِمَا جَعَلَ اللهُ فيه من البركةِ، وغيرُهُ لا يُقَاسُ عليه؛ لما بينهما من الفرق العظيم؛ ولأن فتح هذا الباب قد يُفْضِي إلى الغلو والشرك كما قد وقع من بعض الناس نسأل الله العافية»[٢]، وقد كرر الشيخ ابن باز الكلام بأنه لا يُقاس على النبي ﷺ غيرُهُ من الصالحين سَدّاً لذريعةِ الغلو والوقوعِ في الشرك في موضع آخر، لكنه يُفهم من كلامه هذا الإقرار بدلالة حديث عِتْبان على مشروعية التبرك بالمكان الذي صلى

(١) فتح الباري [١/ ٥٢٢].

(٢) المصدر السابق في الهامش.

فيه النبي ﷺ، وهو المقصود .

وقال النووي في شرحه على مسلم عند حديث عِتْبان: «.. وفي هذا الحديث التبركُ بآثار الصالحين..»[١] فوافق البغويَّ على قياس التبرك بالصالحين على التبرك بالنبي ﷺ .

وقد بَوَّبَ البخاريُّ في صحيحه فقال: «باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صَلَّى فيها النبي ﷺ» وذكر فيه أحاديث فيها تتبُّعُ عبدِ الله بْنِ عمر رضي الله عنهما، لهذه المواضع والتبرك بها، ومثله سالمٌ ابنُهُ كان يتحرَّى هذه المواضع[٢] .

ويُفهم من تبويبِ البخاري وذكرِهِ لِهذه المواضع أنه يَرَى مشروعيةَ التبرك بذلك .

وثبت عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه كان يتحرَّى المكانَ

---

(١) شرحه على مسلم [١/ ٢٤٤] .

(٢) انظر فتح الباري [١/ ٥٦٧] .

الذي كان يصلِّي فيه رسولُ الله ﷺ بين المنبر والقبلة:

ففي الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه أنه كان يتحرَّى موضعَ مكانِ المصحفِ يسبِّح فيه، وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرَّى ذلك المكان.

وفي رواية في الصحيح أيضاً، قال يزيد: كان سلمة يتحرَّى الصلاةَ عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: رأيتُ النبي ﷺ يتحرَّى الصلاة عندها[1].

قوله في الرواية الأولى: «يسبح فيه» أي يصلي النوافل وتُسمَّى صلاةُ الضحى أيضاً بالسبحة..

وقوله في الرواية الأخرى: «..عند الأسطوانة» هي التي جُعلت عَلَماً على مُصَلَّى النبيِّ ﷺ وهي التي على يمين الواقفِ

---

(١) مسلم / طبعة محمَّد فؤاد عبد الباقي [١/ ٣٦٤، ٣٦٥]. وفتح الباري / طبعة السلفية القديمة [١/ ٥٧٧].

في المحرابِ النبويِّ ، وهي اليوم على يمين المحرابِ المبنيِّ نفسِهِ ملتصقةً به ، وتُسمَّى «الأسطوانةَ المُخَلَّقة» من الخَلُوق أي الطيب ، وكلُّ الأسطوانات ثَمَّ كانت تُخَلَّق ؛ لكنهم كانوا يُعْنَوْنَ بهذه من بينها فيُخَلِّقُونَهَا كلَّهَا من أسفلها إلى أعلاها ، وكان الصندوق الذي فيه المصحف إلى جانبها..

فمَنْ أحبَّ أن يوافق المكانَ الذي كان النبي ﷺ يُصلِّي فيه فليجعل هذه الأسطوانة نُصْبَ عينِهِ والمنبرَ على يمينه ولْيقترِبْ قَدْرَ إمكانِهِ منها..

وورد النص عن بعض الفقهاء في استحباب الصلاة في هذا المكان..

نقل المرجاني: أن في العتبية ما لفظه: أحبُّ مواضعِ التَّنَفُّلِ في مسجد رسول الله ﷺ مُصَلَّاه حيث العمودُ المُخَلَّق[١] وقال

---

(١) انظر الخرشي على مختصر خليل [٦/٢] طبعة بولاق ١٣١٧هـ.

ابن قاسم[١]: أحبُّ مواضع الصلاةِ في مسجده صلى الله عليه وسلم في النفل العمودُ المُخَلَّق، وفي الفرض في الصف الأول[٢].

وروى ابن وهب[٣] عن مالك أنه سُئِلَ عن مسجد رسول الله ﷺ وقيل له: أيُّ المواضع أحبُّ إليك الصلاةُ فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مُصَلَّاه، وأما المكتوبة فأولُ الصفوف[٤].

ومن الأماكن النبوية في الروضة الشريفة الأسطوانات الأخرى، وهي: أسطوانة السرير، وأسطوانة الحرس،

---

(١) عبد الرحمن بن القاسم أبو عبد الله العتقي، من كبار أصحاب الإمام مالك وهو مِمَّن نشروا مذهبه، توفي سنة (١٩١) هـ [الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي / للحجوي الثعالبي، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١/ ٤٣٩].

(٢) البيان والتحصيل / لابن رشد [١٧/ ١٣٣] طبعة دار الغرب الإسلامي.

(٣) عبد الله بن وهب الفهمي القرشي مولاهم أبو محمَّد المصري، من كبار أصحاب مالك، تَفقَّهَ عليه وصحبه، توفي سنة (١٩٩) [الفكر السامي ١/ ٤٤٣].

(٤) البيان والتحصيل / لابن رشد [١٧/ ١٣٣].



(٢) المحراب النبوي وخلفه العمود المُخَلَّق .



(٣) أسطوانة السرير وأسطوانة الحرس .

وأسطوانة الوفود، وأسطوانة التوبة، وأسطوان التهجد، وأسطوانة عائشة:

وأسطوانة عائشة، كانت تسمى أسطوانة المهاجرين حيث كانوا يجتمعون عندها، وكان الصحابة يتحرون الصلاة عندها، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح[1] لكنه -رحمه الله- التبس عليه الأسطوانة المخلقة التي هي عَلَم على مُصَلَّى النبي ﷺ بأسطوانة عائشة..

رُوِيَ في أسطوانة عائشة أنها عند المكان الذي قام فيه ﷺ يصلي الفرائض بعد تحويل القبلة، صلى عندها بضع عشرة ثم تقدم إلى مصلاه المعروف وكان يجعلها خلف ظهره، وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله كانوا يصلُّون إليها، وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها،

(١) فتح الباري [١/ ٥٧٧].

وكان يُقال لها مجلس المهاجرين(١).

روى الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ بالمسجد لبقعةً قِبَلَ هذه الأسطوانة لو يعلم الناس ما صلُّوا فيها إلَّا أن تُطَيَّر لهم قرعة) وعندها جماعة من أبناء الصحابة وأبناء المهاجرين فقالوا: يا أم المؤمنين وأين هي؟ فاستعجمت عليهم فمكثوا عندها ثم خرجوا، وثبت عبد الله بن الزبير، فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان فأرمقوه في المسجد حتى ينظروا حيث يصلي فخرج بعد ساعة فصلَّى عند الأسطوانة التي واسطة بين القبر والمنبر عن يمينها إلى المنبر أسطوانتان وبينها وبين المنبر أسطوانتان وبينها وبين الرحبة أسطوانتان وهي واسطة بين ذلك وهي تسمى أسطوانة القرعة(٢).

أقول وسميت أسطوانة عائشة لأجل هذا الخبر.

---

(١) تاريخ المدينة لابن النجار / طبعة مكتبة الثقافة بمكة / [ص٩١].

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي [٤/ ٩].

وثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه كان يأتي مسجد الفتح الذي على الجبل ، يتحرى الساعة التي دعا فيها النبي ﷺ على الأحزاب ، ويتحرى المكان أيضاً ، ويقول: «ولَمْ ينزل بي أمرٌ مهمٌّ غائظٌ إلا توخَّيْتُ تلك الساعةَ فدعوتُ اللهَ فيه بين الصلاتين يومَ الأربعاء إلا عرفْتُ الإجابة»[١] .

فإذن من الصحابة رضي الله عنهم عبدُ الله بن عمر -وأبوه عمر بن الخطاب كان مع النبي ﷺ هو وأبو بكر في بيت عِتْبان بن مالك وشهدا الواقعةَ وفيها أَقَرَّ النبيُّ ﷺ عِتْبانَ على التبرك بالمكان الذي صَلَّى فيه ﷺ-[٢] ولذلك لم يُنْقَل أَنَّ عمر أنكَرَ على ابنه عبدِ الله شدَّةَ تَتَبُّعِهِ للأماكن النبوية وتبركه بها ، بل لم يرد عن أيِّ أحدٍ من الصحابة أنه أنكر عليه ذلك ، فهم وإن لم يُنقل عنهم أنهم كانوا يفعلون ذلك مثله لكنَّ عدم

---

(١) راجع [ص٤٨] هذه الرسالة .

(٢) فتح الباري [١/ ٥٢٠] .

إنكارهم يدل على مشروعية فعله ﷺ- ومـن الـصحابة أيـضاً سلمة بن الأكوع كما بينًا وجـابر بـن عبـد الله ورد عنـه الـنص بالتبرك بالمكان الذي دعا فيه النبي ﷺ وصلَّى فيه واستُجِيبَ له كما ذكرنا آنفاً. وبهذه النصوص الثابتة يبدو لنا أنه مذهب سائر الصحابة وإن لم يرو عنهم بالتفصيل .

ومثله القولُ في تابعي المدينـةِ ، فقـد ورد في البخـاري أنَّ سالمَ بْنَ عبد الله بن عمر كان مثلَ أبيه يتحـرَّى تلـك الأمـاكنَ النبويةَ..

ولما تتبع أميرُ المدينة عمر بن عبـد العزيـز عـام (٨٩هـ) أو بعدها هذه الأماكنَ النبويـةَ لم يُنكِـر عليـه أحـدٌ مـن التـابعين بالمدينةِ ، ولا من الصحابة وكان بقـي مـنهم ستةٌ مـن صـغار الصحابة ، بل نُقِلَ أنهم أعـانوه عـلى ذلـك ودَلُّـوه عـلى تلـك الأماكن[1] .

(١) ابن شبة [١/ ٧٤] .

ومشروعيةُ التبرك بالأماكن النبوية هو مذهب البخاري كما ذكرنا، ومذهب البغوي، والنووي، وابن حجر بل هو مذهب الإمام أحمد رحمه الله، وقد استدل الإمام على ذلك بأن الصحابة كانوا يمسحون أيديهم برمانة المنبر يتبركون بالموضع الذي مسته يد النبي ﷺ[١]، وهو مذهب الإمام مالك فقد روى أبو نعيم في الحلية أن هارون الرشيد أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ ويتخذه من جوهر وذهب وفضة فقال له مالك: «لا أرى أن تحرم الناس من أثر النبي ﷺ»[٢] وسبق نقل كلامه في استحباب صلاة النافلة في مكان مصلاه ﷺ من مسجده.

ومما يُلاحظ في هذا الباب أنه منذ بَنَى عمرُ بن عبد العزيز المساجدَ النبويةَ على المواضع التي صَلَّى فيها النبيُّ ﷺ وذلك عام (٨٩) من الهجرة، وأجيالُ العلماء تترىٰ بالمدينة النبوية منذ

---

(١) سير أعلام النبلاء [١١/ ٢١٢].

(٢) حلية الأولياء [٦/ ٣٣٢].

عصر التابعين لم يُنقَلْ أنَّ أحداً أنكَرَ التَّبرُّكَ بالصلاةِ في هذه المساجد أو طالَبَ بهَدْمِهَا وإزالَتِهَا بأيِّ ذريعةٍ كانت ، لم يحدث شيءٌ من هذا إلا اليوم ، وُجِدَ من ينادي بذلك من المشايخ ، ويؤلِّفُ فيه الرسائلَ .

ويُشدِّد هؤلاء المشايخ في هذه المسألة مُحتجِّينَ بحُجَّتَينِ:

الأولى: حديثٌ رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة[1] عن المعرور بن سويد[2] قال: كنت مع عمر بين مكة والمدينة فصلَّى بنا الفجر فقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ الْفِيلِ﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ثم رأى قوماً ينزلونَ فيُصَلُّونَ في مسجدٍ فسألَ عنهم فقالوا: مسجدٌ صلَّى فيه النبيُّ ﷺ ، فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً ، مَنْ مَرَّ

---

(١) عبد الرزاق في مصنفه [٢/ ١١٨] وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٣٧٦] .

(٢) معرور بن سويد الأسدي من أصحاب عمر بن الخطاب ، مات وعمره مائة وعشرون ، ذكره ابن حبان في تابعي الكوفة [مشاهير علماء الأمصار / ص١٠٩].

بشيءٍ من المساجد فحضرت الصلاة فليصلِّ وإلا فليَمْضِ» .

فهذا أثر موقوف على عمر رضي الله عنه فكيف يناهض حديثَينِ مرفوعَينِ مقطوعاً بهما رواهما البخاري ومسلم وهما: حديث عِتْبان، وحديث سلمة بن الأكوع المتفق عليه. ومع ذلك فإنه يمكن الجمع بأن عمرَ كَرِهَ زيارتَهُم لهذه الأماكن بغير صلاةٍ، أو خَشِيَ أن يُشْكِلَ ذلك على من لا يعرف حقيقةَ الأَمْرِ فيظنه واجباً، ذكره ابن حجر في الفتح[1]..

أقول: فإذا لم يُقبل هذا الجمع فالترجيح، هذا هو مَسْلك العلماء عند تعارض النصوص، وبلا تردُّدٍ نُرجِّح الحديثَ المرفوعَ المتفقَ عليه.

والأخرى: قاعدة سَدِّ الذرائع، فهؤلاء المشايخ جزاهم الله خيراً رَأَوا أنَّ قَصْدَ هذه الأماكن النبوية للتبرك بآثار النبي ﷺ ذريعة للغلو والشرك..

---

(١) فتح الباري [١/ ٥٦٩].

فنقول: إن هذه الذريعة المُتَوَهَّمَة مَعْدُومةٌ، أو هي ضعيفةٌ مرجوحةٌ غيرُ مُعْتَبَرَةٍ؛ لأنها في زمن النبوة لم تكن مُعْتَبَرَةً كما يدل عليه حديثُ أنه ﷺ فَرَّقَ شعرَهُ بين الصحابة ليتبركوا به[1] وحديثُ عِتْبان بن مالك أنه صلَّى في داره ليتخذه مُصَلًّى[2]؛ مع أن الذريعةَ موجودةٌ لقُرْب عهدهم بالشرك، كما قال ﷺ لأم المؤمنين عائشة (لولا أنَّ قومَكِ حَدِيثُوا عهدٍ بشركٍ لهَدَمْتُ الكعبةَ ثم أَقَمْتُهَا على قواعد إبراهيم)[3].

وإن كان كبار الصحابة وفقهاؤهم لا يخاف عليهم من ذلك، لكن كان في الصحابة من يخاف عليه، مثل أولئك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال ﷺ: (قلتم والذي نفسي بيده كما قالت

---

(١) مسلم [الحديث رقم ١٣٠٥] من طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) سبق [ص/ ١٤].

(٣) متفق عليه: البخاري [انظر الفتح ٣/ ٤٣٨] ومسلم مع النووي [٩/ ٩٤].

بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)[١] .

وكذلك هذه الذريعة لم تكن معتبرةً في عهدِ الصحابةِ مع قُرْب عهدِ كثيرٍ من الناس بالشرك ، والرِّدَّةُ في عهد الصِّدِّيق أكبرُ دليلٍ على ذلك .

وكذلك لم تُعْتبَر هذه الذريعةُ في زمنِ التابعين وها هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله يتتبع المواضعَ التي صلَّى فيها النبي ﷺ ويبني عليها المساجد ، بمحضَرٍ ممن بَقِيَ من صغار الصحابة وبمحضَرٍ من التابعين..

ولم تُعْتبَر هذه الذريعةُ طيلةَ تلك العصور منذ القرون المفضَّلَةِ إلى اليوم ، مع توافر العلماء ، لم نسمع أن أحداً منهم أنكر على المواضع النبوية (مساجد ، وآبار ، وغيرها) أو طالب بإزالتها -وقد كانت قائمة- وذلك خوفاً من ذريعة الشرك ، بل صنَّفُوا الكتبَ في تحديدِ هذه المواضع واعتنوا بذلك..

---

(١) حديث أبي واقد الليثي ﷺ ، رواه الترمذي وصححه .

مما يدل على أن هذه الذريعة التي يحتجُّ بها المشايخ مُتوَهَّمـةٌ ، وقد وقعوا في المبالغةِ لِعَدَمِ معرفتِهِم بأحوالِ الناس..

أنـا أعـيش وسـط هـذه الآثـار النبويـة بالمدينـة الـشريفة وأَدْرُسُهَا منذ أربعين سنة ، وأكاد أجزم أنَّ مُعْظَمَ الناسِ الذين يرتادونها إنما يفعلون ذلك بنيةِ التبرك بالنبي ﷺ وآثاره ؛ وهذه نيةٌ صحيحة..

فإن وقع من بعض المسلمين غيرُ ذلـك عنـد هـذه الآثـار فهذا بسبب الجهل ، فهم بحاجة ماسَّةٍ لتعليمهم أمورَ ديـنِهِم ، وليس بسبب وجودِ هذه الآثار ، وهذا هو ما يُفْهَم مـن صـنيع السلف الذين أَقَرُّوا هذه الآثار ولم ينادوا بهَدْمها وإزالتهـا مـع وقوع الشرك من بعض الناس في مختلف العصور .

لماذا لا نستغلُّ وجودَ هذه الآثار وارتيادَ الناس لها (خاصةً الحجاج) فنُنْشِئُ عنـدها أنـشطةً لتوعيـةِ النـاس ، هـذا أنفـع للمسلمين وأكثرُ بركةً..

لكنهم اختاروا بديلاً عجيباً يوارون به تقاعسهم وكسلهم وعجزهم ، وهو هَدْمُ هذه الآثار النبوية واستئصالُ شأفتها..

هذا البديل الذي اختاروه بحجة مفسدةٍ مظنونةٍ هي وقوعُ الناس في الشِّرك أدَّى إلى مفسدةٍ مُحَقَّقَةٍ وهي تغييرُ الطابَع الإسلاميِّ للمدينةِ النبويةِ ، فطَغَى عليها «التغريبُ» و«الفَرْنَجَةُ» حيث اختفت المعالمُ النبويةُ ، وارتفعت بدلاً منها الأبراجُ على الطريقةِ الغربيةِ ، وتحملُ أسماءَ يهوديةً: «الشيراتون» «الهيلتون» «الأنتركونتننتال».. وسيأتي مزيد بيانٍ لذلك..

الفائدة الثالثة: أن هذه الآثار الإسلامية عامل مساعد عند دراسة السيرة النبوية ومغازي رسولِ الله ﷺ ، وعند دراسة مختَلَفِ مراحلِ التاريخِ الإسلامي..

فدراسةُ السيرة النبوية أو المغازي النبوية في مواقعها الجغرافية في مكة والمدينة وما بينهما أعظم أثراً وفائدة من دراستها في الكتب وبين جدران قاعة الدرس..

رافقْتُ الأستاذَ الشريفَ إبراهيم العياشيَّ الحسنيَّ سنينَ عديدةً في جولاتٍ ميدانيةٍ ندرس السيرةَ النبويةَ في مواطنها ، وندرس المغازي النبوية في مواقعها ، فلم أر مثل هذه الدراسة الميدانية نفعاً وبركةً ، وحلاً للمشكلات ، وجلاءً للمشتبهات ، وفي سنوات التسعينات كنت أخرج مع بعض طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة إلى موقع غزوة أحد ، فأوقفهم على جبل الرماة [مكان الخمسين رامياً من الصحابة] ثم أشرح لهم الغزوةَ في موقعها الطبيعي وبين معالمها؛ فألمس لذلك أعظمَ الأثر في نفوسهم ، وفي سرعة إدراكهم لمراحل الغزوة وتفاصيلها ، حتى أرى أحياناً دموعَ بعضِهم تنهمر من شدةِ التأثُّرِ..

وهكذا عند ما أخرج بهم إلى حِصْنِ كعب بن الأشرف النَّضْري اليهودي -جنوبيَّ المدينة- ، وأُوقفُهُمْ على أسواره ، ثم أشرح لهم كيف تم لنفرٍ من أبطال الأنصار أن يقطعوا رأسَ

هذا اليهودي المفسد ؛ تنفيذاً لأمر النبي ﷺ ، وأبين لهم أن في هذا درساً بليغاً للأسلوب الأمثل لحل مشكلة الفسادِ أو الإفسادِ اليهوديِّ المُعَبَّر عنه في القرآن بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ .

ورؤية هذا الحصنِ اليهودي ، أو حصنِ مَرْحَب اليهودي بخيبر تفسيرٌ عمليٌّ بالمشاهدة لقوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ .

والآن بعضُ المجانين يكوِّمون أكوامَ النفايات ومخلفات الهدميَّاتِ حولَ الحصن الأول تمهيداً لهَدْمِهِ ، ليحرمونا من استغلالِهِ لبيان مثل تلك الدروس[١] .

والحكومة مشغولةٌ عن حماية آثار المدينتين المقدَّستين بحمايةِ آثار الدرعية وترميمها بمئات الملايين!!

---

(١) وقد تم هدم هذا الحصن بليلٍ في هذا العام ١٤٢٧هـ .

الفائدة الرابعة: هذه الآثار الإسلامية والنبوية منها على وجه الخصوص زينة للمدينة كما ثبت عن النبي ﷺ وكذلك الشأن في مكة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نَهَى عن هَدْمِ آطام المدينة[1].

وفي رواية أنه نهى عن هدم آطام المدينة لأنها زينة لها. رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار[2].

الأطم الحصن المُدَوَّر، وإذا كان مربعاً سمي حصناً..

نحن اليوم نفهم من هذه الكلمة (زينة للمدينة) أكثر من معناها الظاهر..

---

(١) رواه البزار عن الحسن بن يحيى هو الرُّزِّي (ثقة) قاله حبيب الرحمن الأعظمي (انظر كشف الأستار ٢/ ٥٤) الهامش، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق صاحب حديث.

(٢) [٤/ ١٩٤] ورواه من عدة طرق عن نافع عن عبد الله بن عمر، وفي الجملة فإن هذا الحديث والذي قبله لا يقلان عن درجة الحسن.

الفائدة الرابعة: هذه الآثار الإسلامية والنبوية منها على وجه الخصوص زينة للمدينة كما ثبت عن النبي ﷺ وكذلك الشأن في مكة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نَهَى عن هَدْمِ آطام المدينة[1].

وفي رواية أنه نهى عن هدم آطام المدينة لأنها زينة لها. رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار[2].

الأطم الحصن المُدَوَّر، وإذا كان مربعاً سمي حصناً..

نحن اليوم نفهم من هذه الكلمة (زينة للمدينة) أكثر من معناها الظاهر..

---

(١) رواه البزار عن الحسن بن يحيى هو الرُّزِّي (ثقة) قاله حبيب الرحمن الأعظمي (انظر كشف الأستار ٢/ ٥٤) الهامش، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق صاحب حديث.

(٢) [٤/ ١٩٤] ورواه من عدة طرق عن نافع عن عبد الله بن عمر، وفي الجملة فإن هذا الحديث والذي قبله لا يقلان عن درجة الحسن.



(٤) بقايا قصر سعيد بن العاص بوادي العقيق .



(٥) حصن كعب بن الأشرف النضري اليهودي .

إن في بقاء هذه الآثار الإسلامية: من مساجد نبوية وحصون وآطام وقصور وآبار، ونحوها:

ثم في بقاء الآثار الإسلامية الأخرى من مراحل التاريخ الإسلامي التالية: كالقلعة التركية التي كانت على جبل سليع بوسط المدينة، وسور المدينة، ومبنى سكة حديد الحجاز، ومبنى التكية المصرية، ومكتبة عارف حكمت، وغير ذلك من المعالم الأثرية الإسلامية، ليس زينة للمدينة فحسب، بل هي ملامح طَابَعِهَا الإسلاميِّ، فأُزِيلَ أكثرُ هذه المعالم الإسلامية وحلَّتْ محلَّهَا الأبراجُ الضخمة والمباني الشاهقة على الطراز الغربي، فتغيَّرَ الطَّابَعُ الإسلامي للمدينة، تَغَرَّبَت المدينة النبوية وتَفَرْنَجتْ، ومما زاد الطين بِلَّةً أنه رُفِعَ على بعض هذه الأبنيةِ العاليةِ الأسماءُ اليهوديةُ: (الشيراتون)، (الهيلتون)، (الأنتركونتننتال)، ونحو ذلك..

وفي الفصول الآتية مزيدُ بيانٍ لذلك.

تعظيم السلف لمدينة النبي ﷺ

أصل ذلك حبه ﷺ لهذه المدينة ، وهو الذي قال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) ولا شك في أنه استجيب له فحبه ﷺ للمدينة أشد من حبه لمكة ، «وكان ﷺ إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلتَهُ -أي أسرع بها- وإن كان على دابة حركها من حبها»[1] وفي رواية «تباشراً بالمدينة» وفي رواية «كان إذا قدم من سفر من أسفاره فأقبل على المدينة يسير أتم السير ، ويقول: (اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً)» وفي رواية: «كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية[2] طرح رداءه عن منكبيه وقال: (هذه أرواح طيبة)»[3] .

---

(١) البخاري في باب فضائل المدينة من كتاب الحج [انظر الفتح ٤/ ٩٨] .

(٢) الأثاية موضع في طريق الجحفة بين الرويثة والعَرْج .

(٣) انظر وفاء الوفاء [١/ ٥٣] .

فحب المؤمن لهذه المدينة متفرع من حبه للنبي ﷺ ، الذي أحبها واستوطنها وصار مدفنه بها ، وتعظيمه للمدينة هو من تعظيمه لرسول الله ﷺ ، فإذا كان بها زائراً أو مجاوراً فليعلم أنها مسكن خير البرية ومواطئ قدميه الشريفتين ، وملامس يديه المباركتين ، وقد حُكِيَ عن الإمام مالك إمام دار الهجرة زمن التابعين أنه كان لا يركب دابة بالمدينة وكان يقول: أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة[1].

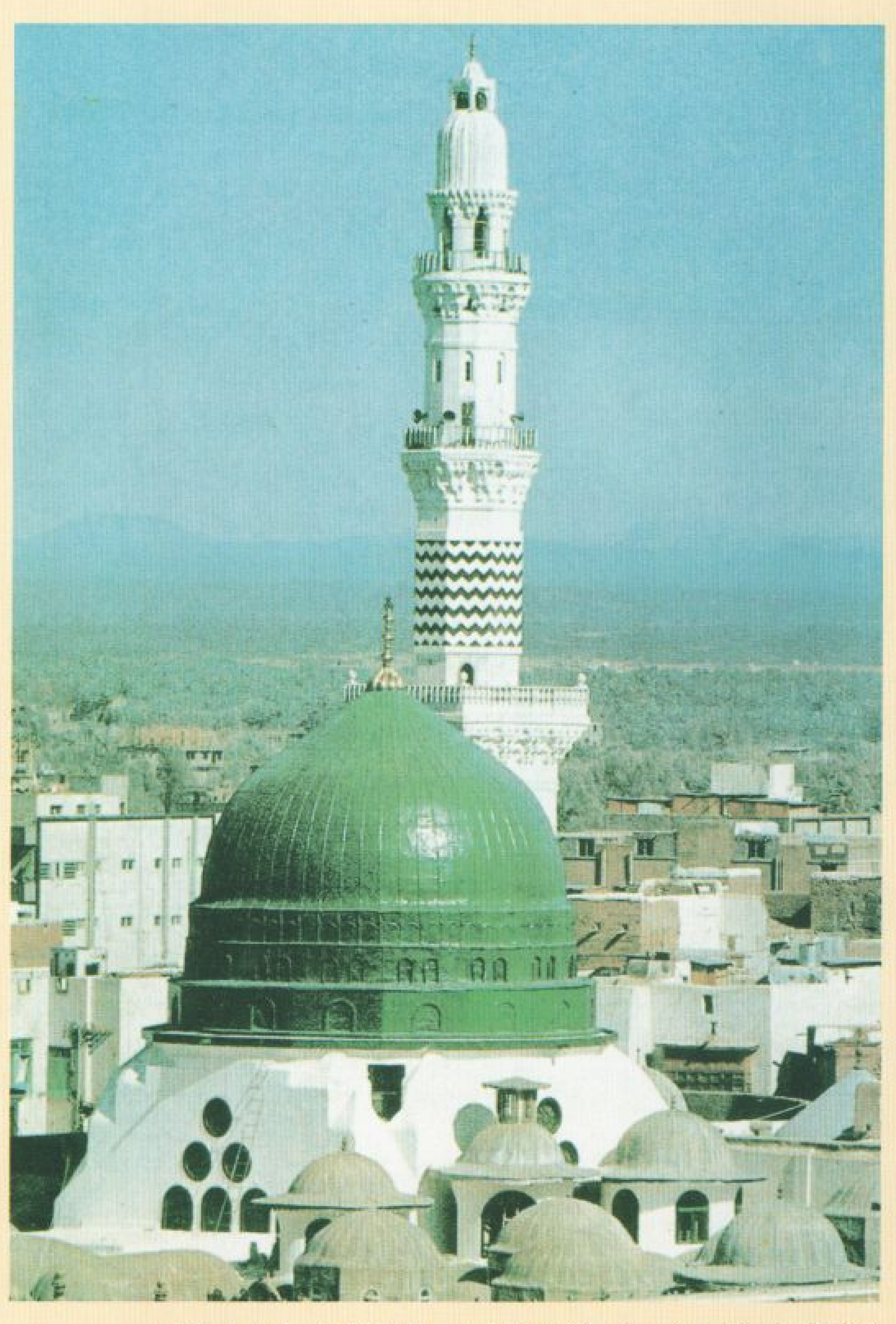
وهذا من شدة تعظيمه -رحمه الله- وأدبه مع رسول الله ﷺ ولو ركب دابة بالمدينة لما كان بذلك من بأس فقد كان الصحابة يركبون الدواب بالمدينة ويمشون ، وكان رسول الله ﷺ نفسه يمشي عليها حيناً ، ويركب أحياناً ويزور قباء راكباً وماشياً ؛ لكن ما حُكِي عن الإمام مالك -إن صح عنه- فهو من شدة تواضعه وخوفه من ذنوبه ، وخوفه من إساءة الأدب

---

(١) الشفا / للقاضي عياض [٢/ ١٢٨] .

مع خير البرية ، كما حُكِيَ عن بعض العباد أنه حَجَّ ماشياً فقيل له في ذلك فقال مستنكراً: العَبْدُ الآبِقُ يأتي إلى بيتِ مولاه راكباً؟!!

ومن أفضل ملوك المسلمين الملك الأشرف السلطان قايتباي ، وهو مِمَّن أسهم في توسعة المسجد النبوي ، وتوسعته بعد توسعة الوليد الأموي هي من أحسن التوسعات ، لما حج سنة أربع وثمانين وثمانمائة بدأ بالمدينة النبوية لزيارة خير البرية ، فقَدِمَهَا طلوعَ الفجر من يوم الجمعة الميمون الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام ، فلبس لدخولها حللَ التواضع والخشوع وتحلَّى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من التعظيم والتوقير فترجل عن جواده عند باب سورها ، ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها ، حتى أتى مسجد النبي ﷺ ومثل بين يدي الجنابِ الرفيع ، وسلم على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم ، ثم ثَنَّى بالصاحبين رضي الله عنهما وأرضاهما ،



(٦) المدينة ونخيل العوالي والقبة الخضراء والمنارة الرئيسية المملوكية .

بعد أن صلَّى بالروضة الشريفة التحية ، وعُرِضَ عليه الـدخولُ إلى المقصورة المستديرة حـول جـدار القبـور الـشريفة فتعَـاظَمَ ذلك وقال: لو أمكنني أن أقف في أبعد من هذا الموقف وقفـت ؛ فالجناب عظيم ، ومن ذا الذي يقوم بما يجب له مـن التعظـيم؟ ثم صلَّى صبحَ الجمعة في الصف الأول بين فقراء الروضة عند أسطوان المهاجرين..

ولبث السلطان بالمدينة يومين فرَّقَ خلالها على أهل المدينة أموالاً جزيلـة وعطايـا وفـيرة ، ثـم توجـه إلى مكـة في الرابـع والعشرين ماشياً على أقدامه بين فقراء المدينـة وفقهائهـا حتـى خرج من باب المدينة فوقف هنـاك ولهـج النـاس لـه بالـدعاء وقرأوا الفاتحـة ، ثـم ركـب جـواده ورحـل ، رحمـه الله رحمـة واسعة[1] .

---

(١) وفاء الوفاء للسمهودي [٢/ ٧١٠] .

بأيِّ ذنبٍ هُدِمَتْ؟!

هَدَمُوا مبنى التكية المصرية في العنبرية وكان من أجمل المباني التاريخية بالمدينة، وصار مكانُهَا مواقفَ للسيارات؛ أي لم تكن هناك ضرورةٌ لهَدْمِهَا!!؟

وهدَمُوا قلعةَ باب الشامي، بل وكشطوا جَبَلَ (سُلَيْع) حتى كاد يختفى؟!!

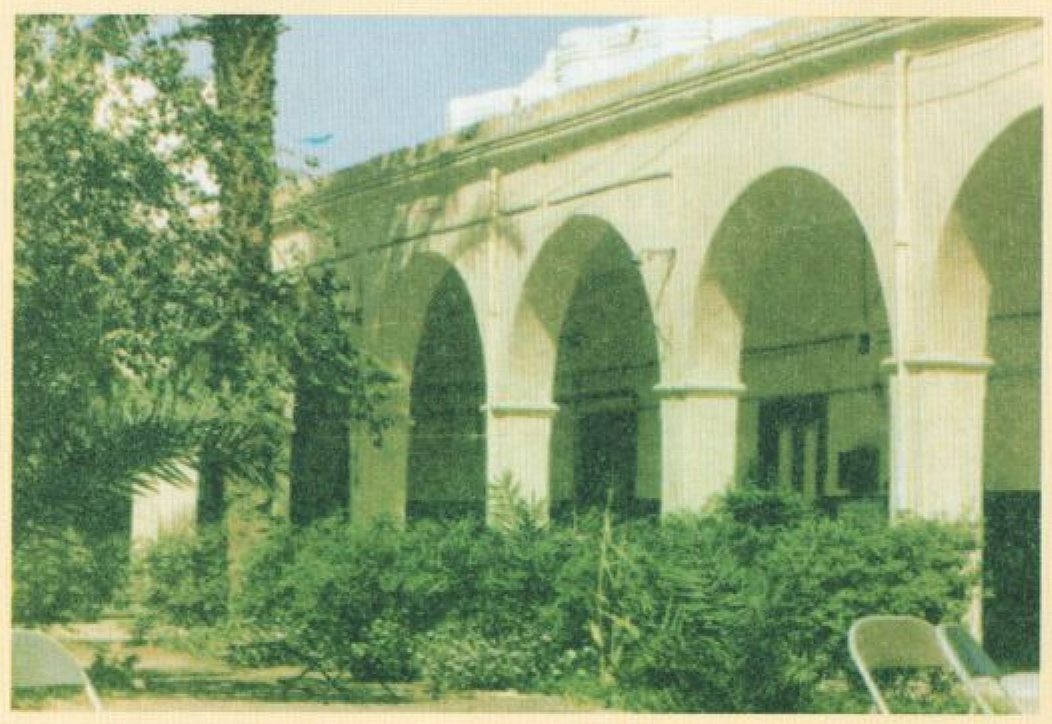
وهدموا جسر سكة حديد الحجاز الذي يمر على وادي العقيق شرقي الجامعة الإسلامية مع أنه كان يمكن ترميمه.

ولا أستبعد أنهم يخططون لهدم محطةِ سكةِ حديدِ الحجاز بالعنبرية وغيرها من المعالم القليلة الباقية..

إن هَدْم المدينةِ المنورةِ القديمة كُلِّها؛ بطرقاتها وأحواشها ومبانيها التقليدية الجميلة كان تصرفاً غريباً..

المدنُ القديمةُ لا تُهْدَم لأنها تراثٌ وتاريخٌ يعتز بِهِ أهلُهُ





(٧) (٨) مبنى التكية المصرية بالعنبرية قبل هدمه .

فكيف إذا انضم إلى ذلك المكانةُ الدينيةُ..

ليس من العقل ولا من الحكمة ولا من السياسة هدمُ المدن التاريخية برمتها وإعادةُ صياغتها؟!

هل كلما جاء عَهْدٌ يمحو آثَارَ من سَبَقَهُ؟! ويبني هو من جديد؟!

هذه قاعدةٌ غبيَّةٌ لو اطَّرَدَتْ لما بقي شيءٌ من التاريخ ولا من المدن، وربما تُطبَّق هذه القاعدةُ في المستقبل على من طبَّقَهَا اليوم! من يدري؟!

لقد طَالَعْتُ الدراساتِ والخرائطَ التي عُملت للمدينة المنورةِ مِنْ قِبَلِ شركاتٍ عالميةٍ متخصصةٍ، وصُرف عليها عشرات الملايين، وكانت دراسات وتصميمات رائعة، حافظت على المدينة القديمة حول المسجد ملتصقةً به؛ كما هو الشأن في المسجد الأقصى والقدس القديمة، وكما هو الشأن في الجامع الأموي في دمشق، وكما هو الشأن في سائر

المدن القديمة..

وجَعَلتْ تلك الدراساتُ والتصميماتُ مشروعَ المدينةِ الحديثةِ حزاماً دائرياً حول المدينة القديمة يُربَطُ بالمسجد النبوي بأربعةِ شوارع رئيسيةٍ تخترق المدينةَ القديمةَ إلى المسجد .

لقد عرف «الأجانبُ» قيمةَ التاريخ ولم نعرفه نحن ، بادرنا إلى هَدْم المدينة المنورة التاريخية ومحوناها من الوجود ، وبنينا مكانها أبراجاً ضخمة عالية على الطراز الغربي حجبت المسجدَ النبويَّ وارتفعت فوقه ، وأُحيطَ المسجدُ بالفنادق والأسواق ، وارتفعت الأسماء اليهودية والمجوسية أمام المسجد في تحدٍّ صارخٍ وسوءِ أدبٍ لم يسبق له مثيلٌ: (الشيراتون) (الهيلتون) (الأنتركونتننتال) (الأوبروي) (ماريوت) ؛ كأننا في (نيويورك) أو (سنغافورة) أو (هونج كونج) أو (دبي)..

ثم مما يثير الاستغراب والتساؤل أنه تبِعَ ذلك هدمُ

«مُبَرْمَجٌ» ومُطَّرِدٌ لما تبقَّى من آثار إسلامية ؛ بل ونبوية ؛ فهُدِمَ من المساجد النبويةِ بالمدينةِ حتى الآن:

مسجدُ ثنيةِ الوداع ، ومسجدُ السَّبَق ، وأربعةُ مساجدَ نبويةٍ في منطقة المساجد السبعة ، ومسجدُ الفَضِيخ ، وغيرُها ، وهُدِمَ أُطُم بني حارثة بالحرة الشرقية ، وحصنُ كعبِ بْنِ الأشرف في الحرة الجنوبية ، وبئرُ عروةَ بن الزبير المشهورة وقصره المطلان على وادي العقيق..

هل الهدفُ هو مَحْو الطابَع الإسلامي للمدينة النبويةَ أم ماذا؟ نريد أن نفهم؟!

أما أنا فأعزو سبب ذلك إلى سوء الإدارة ، والتضارب بين جهات الاختصاص ، فهناك جهات في الحكومة تريد المحافظة على الآثار ، بدليل العناية الفائقة بآثار (الدرعيةِ) و(المَصْمَكِ) وإنشاءِ متحفٍ راق بديع للآثار بالرياض ، وتريد أيضاً المحافظةَ على الآثار النبويةِ بالمدينةِ المنورةِ بدليل تجديد عمارة

بعض المساجد النبوية ؛ مثل مسجد القبلتين ، ومسجد الميقات ، ومسجد الجمعة ، ومسجد المستراح ، ومسجد بني معاوية أو مسجد الإجابة ، وغيرها..

إذن لماذا هذا التناقض؟!

وبأي ذنب هُدِمَتِ المساجدُ النبويةُ الأخرى؟!

قد يلومنا بعضُهُم قائلاً: وما فائدةُ الكلامِ الآنَ على المدينةِ المنورة القديمةِ ، والتحسُّر على شيءٍ قد فات؟!

وما فائدة انتقادِ شيءٍ قائمٍ وواقعٍ مَاثِلٍ وهو المدينةُ الحديثةُ التي شُيِّدَت في المنطقة المركزية؟!

أقول إن الفائدة المرجوة هو أن يفتح المسؤولون أعينهم على الحقائق الآتية:

أولاً: الحفاظُ على ما تَبَقَّى من آثار إسلامية ومعالم نبوية للمدينة المنورة ، وأن ذلك مقصدٌ شرعيٌّ مُسْتَقَىً من قوله ﷺ في آطام المدينة: (إنها زينةُ المدينةِ) ونَهَى عن هدمها ؛ مع أن

أكثرها من عصر الجاهلية[١] .

ثانياً: الحجاج والزوار الذين يتقاطرون بالملايين إلى الحرمين الشريفين ، إذا جاءوا إلى المدينة المنورة جاءوا وفي قلوبهم شوق إلى رسول الله ﷺ ، ولهفةٌ لمُشَاهَدَةِ مسجِدِهِ ومدينتِهِ ، وفي أذهانهم تصوُّرٌ عن مدينته مُسْتَوْحَىً من السيرة النبوية ومن التاريخ حسبما قرأوا أو سمعوا[٢] .

فهل يصح في الأذهان شيء إذا فُجِئُوا بأبراج ضخمةٍ شاهقةٍ من الخرسانة المسلحة كالتي في بلادهم؟! مدينةٌ حديثةٌ خَرْسَاءُ من هذه الأبراج ، تحمل على رؤوسها تلك الأسماءَ اليهوديةَ والمجوسيةَ؟!

إذا خرجوا من المسجد النبوي لا يجدون أيَّ أثرٍ للنبي ﷺ في مدينتِهِ؟! ويجدون بدلاً من ذلك (الشيراتون) و(الهيلتون)

---

(١) راجع [ص٢٩] من هذه الرسالة .

(٢) راجع عبارة إسحاق بن راهويه [ص/ ١١] .

و(الأنتركونتننتال)..

إنها صدمة حضارية: فَرْنَجُوا حتى مدينةَ النبيِّ ﷺ؟! وهو غباءٌ مِمَّنْ يخطِّطُونُ، ويُنفِّذون؟! لم يفهموا معنى هذا النوع من السياحة الدينية (الحج والعمرة)، ولم يُحِسُّوا بمشاعر ملايين المسلمين بعدما تبلَّدت مشاعرهم وتَفَرْنَجَت، وأفسدتها الشهوات، وبناءً عليه لم يدركوا حقيقةَ متطلباتِ هذه الملايين المسلمة!!.

إنَّ غالبية الحجاج والزوار لا يحتاجون إلى هذا النوع من الفنادق ذات النجوم الخمسة أو الأربعة أو الثلاثة لأنهم فلاحون فقراء يعيشون في بيئات متخلفة، ريفيةٍ، والقلة القليلة من متوسطي الدَّخْل أو المترفين هم الذين يفهمون تلك (النجوم) ويقدرون عليها.

وهذه القلة القليلة كان يكفيها أن تُنْشَأَ لها (نجومُهَا) بعيداً عن المسجد النبوي؛ حولَ المدينةِ القديمةِ في حزامٍ دائريٍّ؛ كما

قُدِّمَ في الدراسات والتصميات التي ضُرِبَ بها عرض الحائط..

لا نقلل من أهمية المتطلبات المادية للحجاج والزوار من سكنٍ مريحٍ نظيفٍ، ولا نُغْفِلُ الزيادةَ الهائلةَ في أعداد القادمين، لكن المُتطلَّبَاتِ المعنويةَ والحاجاتِ الروحيةَ أهم..

ثم لا نفهم أيَّ عقليةٍ هذه التي تَحْشَدُ هذه الأعدادَ الهائلةَ في المنطقةِ المركزية حولَ المسجد النبوي بشوارع ضيقةٍ ومساحةٍ محدودة..

ثالثاً: مادام الخطأ قد وقع وقامت هذه الأبراج حول المسجد ومُسِحَت المدينة التاريخية القديمة من الوجود؛ فالواجب البديهي كان أن يُعْتَنَى بما تبقَّى من معالم نبوية وآثار تاريخية لتسد نُهْمَةَ الزائرين وشغَفَهُم وشوقَهُم..

فأي غباءٍ هذا الذي نشاهد؟! من هدمٍ لسائر الآثار نبويةً وغيرَ نبويةٍ؟!

كأنهم يهتفون بالزائر والحاج: اشبع من الخيبة لن ترى أَيَّ أثرٍ لنبيِّك ﷺ.. ولا لمدينتِهِ.

من هي الجهات الحكومية التي تقوم بذلك؟ إنهم يهدمون بليل متسترين بِجنح الظلام في الغالب.. لا نشك في مسؤولية من يأتي:

(١) المشايخ الذين يفتون بهَدْمِ هذه الآثار النبوية، مع أن المسألة من حيث الحكم الشرعي كما أوضحنا سابقاً لا تؤيدهم، فالدليلُ المقطوعُ به المرفوعُ إلى النبي ﷺ، وفعلُ الصحابة، وفعل التابعين، والعلماءِ السابقين، ومواقفُهُم، كلُّ ذلك يدل على مشروعية الإبقاء على هذه الآثار..

لا يُسلَّم لهم ادعاؤُهم أنَّ مذهبَ السلف يَقْضِي بهدمها، أيُّ سلفٍ هذا والذي بَنَى المساجدَ النبويةَ هم التابعون بالمدينة، وإذا لم يكن تابعوا المدينة، ولا الإمام أحمد ولا الإمام مالك، والبخاري، والبغوي والنووي وابن حجر صاحبُ الفتح

سلفاً فمن هم السلف؟

من هم العلماء الذين يعارضون هؤلاء؟

عند التحقيق نجد أنها مجرد آراء شخصية من هؤلاء المشايخ واجتهادات فردية غير ملزمة ، بنيت على تقديرات خاطئة ، لا يسوغ نسبتها إلى الشريعة ، ولا إلى النصوص الشرعية ، والمؤسف أنه ترتب عليها إجراء تنفيذي متهور بهدم معالم ومساجد نبوية في المدينة ، مع أن مثل هذه الفتوى وما بني عليها من هدم كان ينبغي مشاورة علماء العالم الإسلامي قبل الإقدام عليهما .

(٢) هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورئاستها ، فإن مِمَّن يشاركون في الهدم فرع الهيئة بالمدينة ولا نشك أنهم أخذوا تعليماتهم من رئيسهم العام .

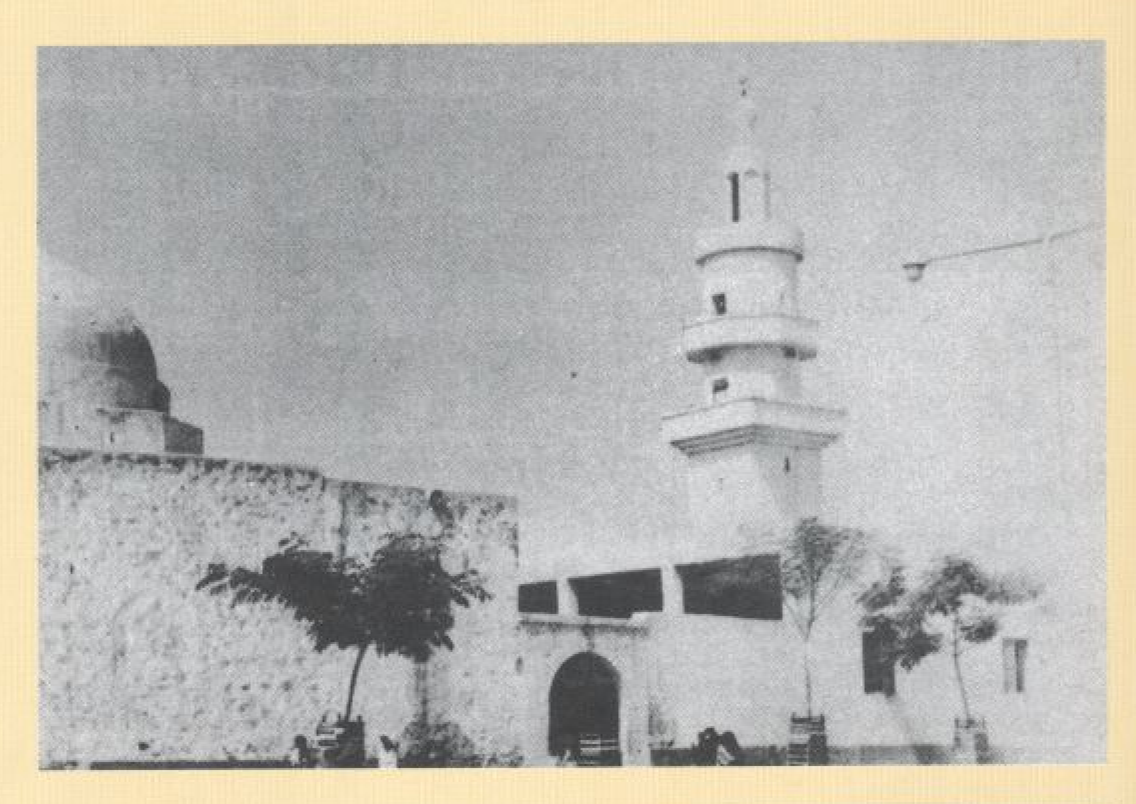
(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فإن المساجد التي هُدمت كانت مسجلة لدى الوزارة وبعضها فيها مؤذن

وإمام ؛ فهذا التواطؤ من هذه الوزارة مع رئاسة الهيئات على الهدم غريب؟!

(٤) أمانة المدينة في عهد أمينها المـُؤَيَّد المهندس عبد العزيز الحصين ، إنه مشارك في الهدم فإن لم يشارك فلماذا لا يتدخل لمنع هذا الهدم ، وإن لم يكن حماية معالم المدينة من مسؤولياته فعلى أي شيء هو أمين؟!

كم كنا نتمنى لو تدخلت وزارة الداخلية ممثلة في إمارة المدينة لإيقاف هذا العبث بتاريخ المدينة ومعالمها الإسلامية ولو فعلت فمن يجرؤ على مخالفتها..

أما أهلُ المدينة: علماؤُها وأدباؤُها وأعيانُهَا والمعنيُّون بتاريخها ، فأَشهدُ أنهم بذلوا جهوداً متواليةً للحفاظِ على الآثار النبوية بالمدينة والحفاظ على معالمها التاريخية ؛ لكن القوم استضعفوهم ، ولم يصغوا إلى مناشداتهم ، ولا استمعوا إلى آرائهم ، ولا ألقوا بالاً إلى كتاباتهم في الجرايد ، ولا إلى كتاباتهم





(٩) (١٠) مسجد السبق قديماً ثم بعد تجديده ، ثم هُدِمَ .

إلى ولاة الأمور..

الهَدْمُ مستمرٌّ خطوةً خطوةً ؛ في جُنْح الظلام والناس نائمون ؛ حتى لم يَبْقَ من معالم المدينة ومساجِدِهَا النبويةِ إلا النزرُ اليسيرُ ، وإذا لم يتدخل من يستطيع أن يؤثر فسوف تُجرَّد المدينة تماماً من أي أثر نبوي أو مَعْلَم تاريخي!!

وتبقى مُجَرَّدَ مدينةٍ لأبراجِ (الشيراتون) و(الهيلتون) و(الأنتركونتننتال) .

وقد يُقال مرةً أخرى: وما فائدة هذا كلِّهِ وقد تَمَّ كلُّ شيءٍ بليلٍ وهُدِمَتْ آثارُ المدينةِ ومُسِحَت معالمُهَا التاريخيةُ وقامت بدلاً من المدينة القديمة مدينةُ الأبراجِ المتفرنجةُ التي لم تعجبك فأنت تَنْعَى عليها؟!

أقول: لم أفقد الأملَ في استدراك شيءٍ مما فاتَ والمحافظةِ على القليل المُتَبَقِّي..

إذا قذف اللهُ في قلبِ مَنْ بيده القرارُ الحكمةَ فإنَّ بإمكانه

أن يُصْلِحَ بعضَ ما تَمَّ إفسادُهُ ؛ وذلك على النحو الآتي:

أولاً: إعادةُ بناءِ جميع ما هُدِمَ من مساجِدَ نبويةٍ في أماكنها: وخاصة:

(١) مسجدُ ثنيةِ الوداعِ في أول شارع أبي بكر الصديق من جهة المسجد النبوي .

(٢) مسجد السَّبَق: الذي هُدِمَ من أجل مشروع الشركة القابضة غربيَّ المسجد النبوي .

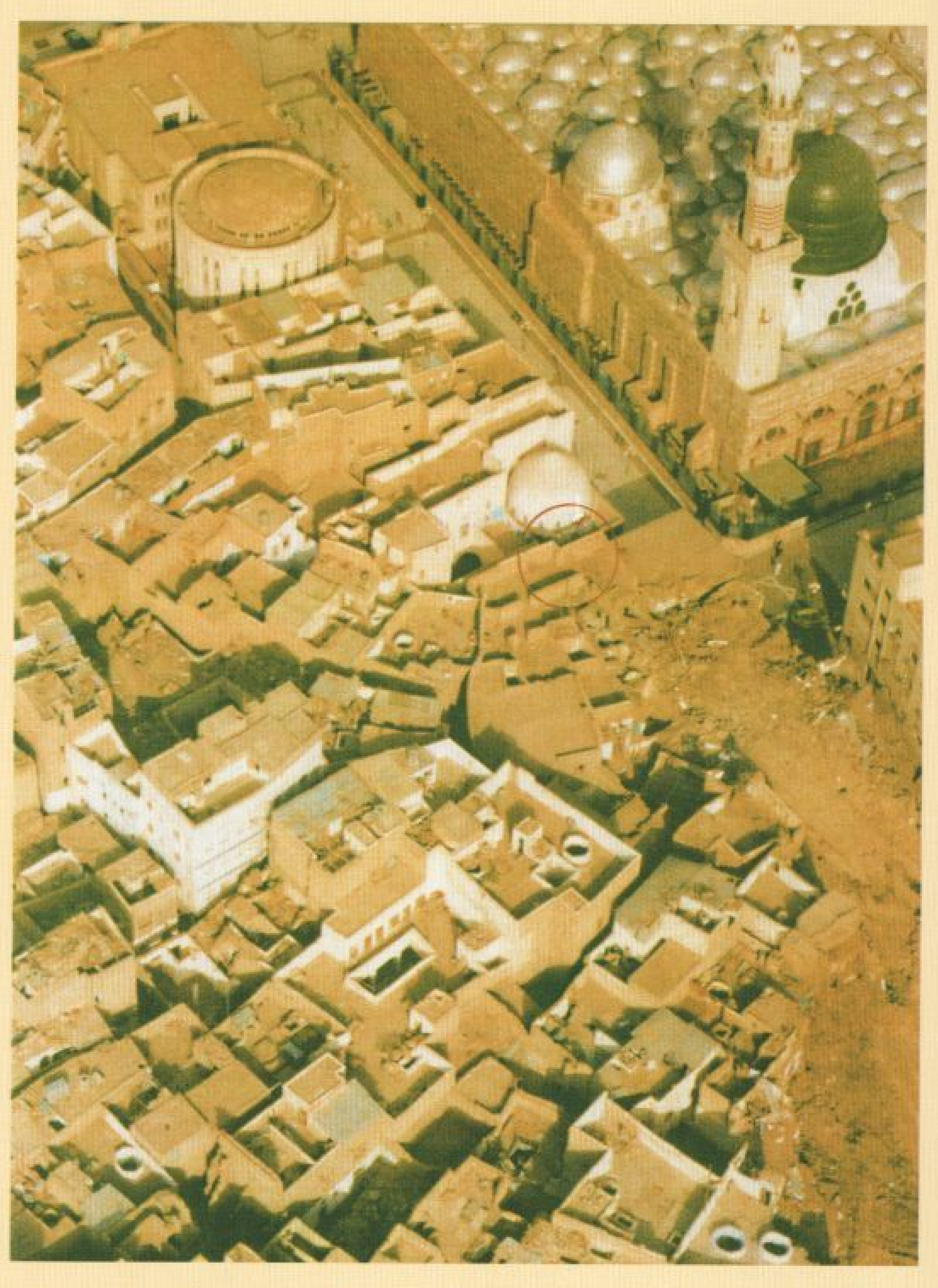
(٣) مسجد أبي بكر الصديق وغيره من مساجد الفتح .

(٤) مسجد الفضيخ في منطقة العوالي .

(٥) مشربة أمِّ إبراهيم ابن النبيِّ ﷺ ، شماليَّ مسجد الفضيخ .

وربما هناك مساجد أخرى لم أذكرها لكن يعرفها المعنيون من أهل المدينة .

هذا ويمكن إعادةُ بناءِ بعض ما هُدِمَ من معالم تاريخية في أماكنها ، وهي:



(١١) الدائرة الحمراء تشير إلى موقع بيت أبي أيوب الأنصاري ، والقبة البيضاء إلى جواره لمكتبة عارف حكمت .

(١) بِئْرُ عروةَ بْنِ الزبير التي كانت بطرف وادي العقيق .

(٢) مكتبةُ عارف حكمت: التي كانت مشهورة لدى الأوساط العلمية والثقافية ، وكانت مبنى جميلاً متميزاً في الجنوب الشرقي من المسجد النبوي ومكانها كان بيتاً للسبط الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللهُ عنه وعن أبيه ، ينبغي إعادة بنائها في نفس المكان بنفس الشكل والتصميم..

(٣) بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم أولَ قدومه في الهجرة ، وأقام فيه ستة أشهر ومكانه معروف..

وفي أوائل القرن السابع الهجري اشترى الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب -وهو من أفضل ملوك الأيوبيين- عَرْصةَ دار أبي أيوب الأنصاري هذه وبناها مدرسةً للمذاهب الأربعة ووقف عليها أوقافاً بميافارقين[١] وبدمشق وبالمدينة النبوية ، وكان بهذه

(١) مدينة بديار بكر كانت دار ملك السلطان المذكور .

المدرسة كتب كثيرة نفيسة فتفرقت أيدي سَبَا ، وآل حال هـذه المدرسة إلى التعطيل[١] ..

أقول فليت هذه البقعة المباركة تبنى فيها مدرسة وقفية مرة أخرى فيتم إحياؤها بهذه الطريقة الشرعية النافعة .

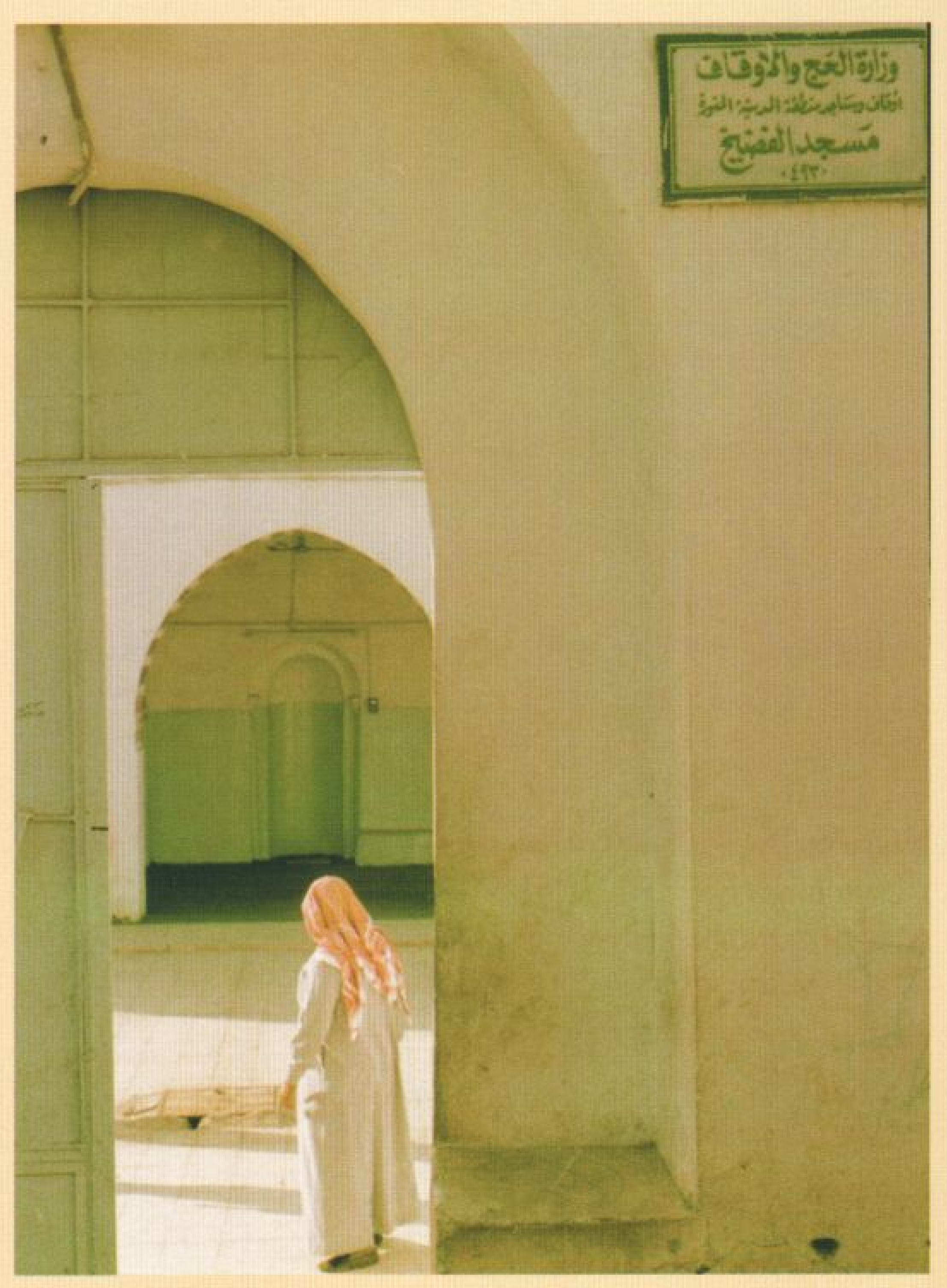
وهناك معالم وآثار لا يمكن إعادتها كما كانت وكان هدمها خسارة تاريخية فادحة ، مثل:

أُطُم الضَّحْيَان: من العهد النبوي ، وكان قسم كبير منه موجوداً بمنطقة العُصْبة .

أُطُم بني واقِف: كان موجوداً في الركن الجنوبي الشرقي من مسجد قباء .

حصن كعب بن الأشرف النضري اليهودي: كان قائماً ، ويُعَدُّ ثروةً تاريخيةً لا تُقَدَّرُ بثمن ، وربما نظر من هَدَمَهُ إلى كونه حِصْنَ يهوديٍّ ، وعَمِيَ عن علاقتِهِ بغزوة محمد بن مسلمة ،

(١) السمهودي في وفاء الوفاء [١/ ٢٦٥] .



(١٢) مسجد الفضيخ بالعوالي بأي ذنب هدموه ؟!

فقد كان وجودُ هذا الحصنِ فرصةً لدروسٍ عظيمةٍ في موقفِ النبيِّ ﷺ من يهود المدينة..

إنَّ هَدْمَ هذه الآثار دليلٌ على تَخَلُّفٍ حضاريٍّ لا نظير له، وتَبَلُّدٍ في الحِسِّ التاريخي، فهذه معالمُ عمرها أكثرُ من ألفٍ وأربعمائةِ عام..

مساجدُ الفَتْح

(المساجد السبعة)

مساجدُ الفَتْح كما يسميها السمهودي، وهو الصواب وهي في موقع قيادة النبي ﷺ في غزوة الخندق حيث جعل سَلْعاً خلف ظهره والخندقَ أمامَهُ، والعدو وراءَ الخندق شماليَّهُ..

ومع أن هذا الموقع يمثل أهميةً تاريخيةً فائقةً خاصةً لدارسي مغازي النبي ﷺ وسيرتِهِ فإنه تَمَّ العَبَثُ ببيئتِها التاريخيةِ بتكسير الجبل وحَفْره بالآلات الضخمة لبناءِ جامعٍ حديثٍ وسط مساجد الفتح، ولا أدري لِمَ اخْتِيرَ له هذا الموقع؟ هل هو تمهيدٌ لإزالةِ مساجدِ الفتح[1]، ولِمَ سُمِّيَ بهذا

---

(١) وقد تم إزالة مساجد الفتح التي في الوادي جميعها وبقي مسجد الفتح الذي على الجبل ينتظر مصيره؛ إذا لم يتدارك الحكماء هذا العبث فيوقفوه.

الاسم «جامع الخندق»؟ مع ما في هذا الاسم من تلبيسٍ على الحجاج والزوار، لأنه يوهمهم أنه من المساجد التاريخية القديمة فيقصدونه، وأن له تَعَلُّقاً بالنبي ﷺ فيتبركون به، وهذا بدعةٌ عند وزير الأوقاف صالح آل الشيخ ومن أفتى بذلك من المشايخ، فهل هي بدعةٌ سعودية مكانَ بدعةٍ أموية؟!

من أجلِ هذا الجامعِ المُحْدَثِ هدموا جميع المساجد التي بالوادي: مسجد أبي بكر الصديق وأقاموا مكانه «صَرَّافاً ربوياً أي بنكاً» -يا للأدب الرفيع- يهدمون مسجداً ويبنون مكانه بنكاً ربوياً؟!

وهدموا مسجد علي بن أبي طالب!!

وهدموا مسجد سعد بن معاذ!! ومسجد سلمان الفارسي. ومسجد عمر بن الخطاب.

يقول بعض الجهال: إن هذه المساجد لا أصل لها، إنَّما

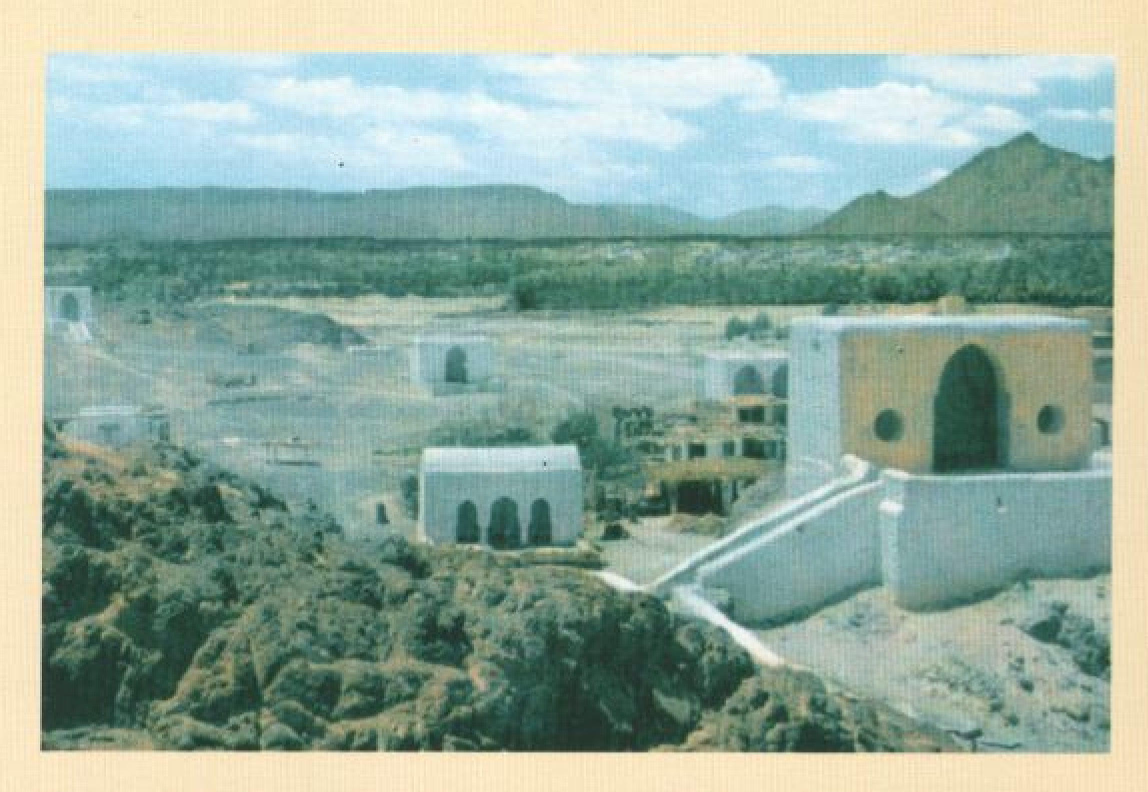
أحدثها الأتراك..

وإليك الدليل على أنها من عهد الصحابة ، وأن بعضها من البناء العمري -أي من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز عام (٨٩) من الهجرة بالحجارة المُطَابَقَةِ ، وهو مسجدُ (الفتح) الذي على الجبل ، فإنه بالحجارة المُطَابَقَةِ فيغلب على الظن أنه من البناء العمري ، فيكون قد مضى على بنائه أكثرُ من ثلاثمائةٍ وألف عام ، وإن جُدِّدَ في بعضِ الأزمنة .

روى الإمام أحمد في مسنده: عن جابر بن عبد الله ﵁ أن النبي ﷺ أتى مسجدَ الأحزابِ فوضع رداءَهُ وقام فرفع يديه مَدّاً يدعو عليهم ولم يُصَلِّ ، ثم جاءَ ودعا عليهم وصلَّى .

وفي روايةٍ عنه: أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يومَ الاثنين ويومَ الثلاثاء ويومَ الأربعاء ، فاستُجِيبَ له يومَ الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرِفَ البِشْرُ في وجهه .

قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا تَوَخَّيْتُ تلك





(١٣) (١٤) مساجد الفتح «المساجد السبعة» .

الساعةَ فأدعو فيها فأعرف الإجابَةَ[١] .

يقصد ﷺ أنه يتوخَّى الزمانَ والمكانَ ؛ أي يدعو في تلك الساعة في ذلك المكان الذي دعا فيه النبي ﷺ في مسجد الفتح بدليل رواية البخاري في (الأدب المفرد) ولفظه: «ولم ينزل بي أمر مهم غائظ إلا توخَّيْتُ تلكَ الساعةَ فَدَعَوْتُ اللهَ فيهِ بين الصلاتين يوم الأربعاء في تلك الساعة إلا عرفْتُ الإجابة»[٢] .

وفي إحدى روايات البزار أنه يدعو في تلك الساعة في مسجد قباء[٣] .

وروى ابن شبَّة عن أَسيد بن أبي أسيد[٤] عن أشياخهم أن

---

(١) مسند أحمد [٣/ ٣٣٢] ومجمع الزوائد [٤/ ١٢] وكشف الأستار عن زوائد البزار [١/ ٢١٦] .

(٢) الأدب المفرد [ص٢٤٦] .

(٣) كشف الأستار [١/ ٢١٦] .

(٤) أسيد -بفتح الهمزة- ابن أبي أسيد البراد ، أبو سعيد المديني ، واسم أبيه يزيد ، صدوق ، مات في أول خلافة المنصور .

النبي ﷺ دعا على الجبل الذي عليه مسجد الفتح وصَلَّى في المسجد الصغير الذي بأصل الجبل.

وعن عِمَارَة بن أبي اليسر قال: صَلَّى النبيُّ ﷺ في المسجد الأسفل.

وعن جابر رضي الله عنه قال: دعا النبيُّ ﷺ على الجبل الذي عليه مسجدُ الفتح من ناحيةِ الغرب وصلَّى من وراء المسجد.

قال أبو غسان[1]: وسمعتُ غيرَ واحدٍ ممن يُوثَقُ به يذكر أنَّ الموضعَ الذي دَعَا عليه رسولُ الله ﷺ من الجبل هو اليوم إلى الاسطوانةِ الوُسْطَى الشارعةِ في رَحْبَةِ المسجد[2].

---

(١) أبو غسان هو محمد بن يحيى الكناني أبو غسان المدني، قال ابن حجر: ثقة، وقال الحافظ أبو بكر المعافري الشاطبي: أبو غسان أحد الثقات المشاهير بحمل الحديث المشهورين بعلم الأدب ورواية السير ومعرفة الأيام [تهذيب الكمال ٢٦/ ٦٣٨].

(٢) ابن شبَّة [١/ ٦٠].

أقول: هذا الوصف هو للمسجد الموجود اليوم على الجبل فإنه على بنائه منذ ذلك العهد، وقد جدد على هيئته في بعض العصور.

وعن الحارث بن فضيل[١] أن النبي ﷺ بدأ فصلَّى أسفلَ من الجبلِ يومَ الأحزاب، ثم صَعَدَ فدَعَا على الجبل[٢].

وذكر ابنُ النجار عن معاذ بن سعد رضي الله عنه[٣] أن رسول الله ﷺ صلَّى في مسجد الفتح في الجبل وفي المساجد التي حوله[٤].

---

(١) هوا الحارث بن فضيل الخطمي الأنصاري، من تابعي التابعين، روى عن الزهري وعبد الرحمن بن المسور، وغيرهما، قال يحيى بن معين: ثقة [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٨٦].

(٢) ابن شبة [١/ ٥٩].

(٣) معاذ بن سعد أو سعد بن معاذ، وقع بالشك في الموطأ وفي صحيح البخاري، ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة [الإصابة لابن حجر ٦/ ١٤١ طبعة نهضة مصر].

(٤) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة لابن النجار [ص/ ١١٤] [طبعة دار الثقافة بمكة باسم: تاريخ مدينة الرسول ﷺ].

وزاد المَطَري في روايةِ ابن النجار هذه عبارةَ: «ومسجدِ القبلتين»[(١)].

قال الواقدي: «وكان عبد الله بن عمر يقول: صلَّى رسولُ الله ﷺ في تلك المساجد كلها التي حولَ المسجد الذي فوق الجبل»[(٢)].

والواقدي محمد بن عمر توفي سنة (٢٠٧هـ)، وابن شبَّة عمر النميري توفي سنة (٢٦٢هـ)، فهذان من أقدم المصادر وأوثقها، ولكن أقوى نصٍّ مِمَّا مَرَّ بِنَا هو حديث معاذ بن سعد رضي الله عنه، وفيه إثبات أن النبي ﷺ صلَّى في ثلاثة مساجد على الأقل مما يقع في أسفل الجبل الذي عليه مسجد الفتح، إذ أقل الجمع ثلاثة وهو قال: «وفي المساجد التي حوله»، ذكره

(١) التعريف للمطري [ص١٤٢] [طبعة دارة الملك عبد العزيز بتحقيق الدكتور سليمان الرحيلي].

(٢) المغازي [٢/ ٤٨٨] [طبعة اكسفورد].

السمهودي[١] .

فإذن مسجد الفتح الذي على الجبل وثلاثة مساجد في الوادي أسفل الجبل ثبت أن النبي ﷺ صلَّى بها ..

وهو صلَّى بها في أوقات متفرقة بسبب ظروف الغزوة -غزوة الأحزاب- ، وبعضها عاد وصلَّى بها بعد الغزوة[٢] .

وأولُ من بنى مساجدَ الفتح وغيرَهَا من المساجد النبويةِ بالمدينةِ هو عمر بن عبد العزيز لما كان أميراً على المدينة النبوية ، وإمارته عليها من سنة (٨٦) إلى (٩٣) من الهجرة[٣] فبعد أن فرغ من توسعة المسجد النبوي التي أمر بها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، شرع بأمر الخليفة أيضاً يتتبع المواضعَ التي صلَّى بها النبي ﷺ وبنى عليها المساجد ، وقد سبق بيان ذلك .

---

(١) وفاء الوفاء [ص/ ٨٣٦] .

(٢) تاريخ المدينة لابن النجار [ص١١٤] .

(٣) سير أعلام النبلاء [٥/ ١١٧] .

سوق المدينة
التي أوقفها النبي ﷺ

روى ابن ماجة في سننه[(١)] والطبراني[(٢)] عن أبي أُسيد رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني قد رأيتُ موضعاً للسوقِ أفلا تنظر إليه؟ قال: (بَلَى) فقام معه حتى جاء موضعَ السوقِ، فلما جاءه أعجبه، وركله برجله وقال ﷺ: (نِعْمَ سوقُكُمْ فلا يُنْتَقَضَنَّ ولا يُضْرَبَنَّ عليكم خَرَاجٌ).

---

(١) سنن ابن ماجة [ص٧٥١].

(٢) مجمع الزوائد [٤/ ٧٦].

قال الهيثمي: فيه الحسن بن علي بن الحسن أبي الحسن البَرَّاد ولم أجد من ترجمه.

وفي زوائد ابن ماجة للبوصيري: هذا إسناد ضعيف لضعف رواته: إسحاق بن إبراهيم، ومحمد وعلي ابني الحسن، وشيخهما الزبير بن أبي أسيد. [مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٢/ ١٨٧].

وروايةُ ابنِ ماجة بلفظ: ذهَبَ رسولُ الله ﷺ إلى سوقِ النَّبيط فنظر إليه فقال: (ليس لكم هذا بسوقٍ) ثم ذهب إلى سوقٍ فنظر إليه فقال: (هذا ليس لكم بسوقٍ) ثم رجع إلى هذا السوق فطاف فيه ثم قال: (هذا سوقُكُمْ فَلَا يُنْتَقَصَنَّ ولا يُضْرَبَنَّ عليه خَرَاجٌ).

ورواه ابن شبةَ[1] عن عطاءِ بن يَسَار[2] قال: لما أراد رسولُ الله ﷺ أن يجعل للمدينةِ سوقاً أتى سوقَ بني قَيْنُقَاع، ثم جاء سوق المدينةِ فضربه برجله وقال: (هذا سوقُكُم فلا يُضَيَّقْ ولا يُؤْخَذْ فيه خَرَاجٌ).

وهذه السوق التي أوقفها النبي ﷺ على أهل المدينة مشهورةٌ، وخبرُهَا مشهورٌ لَدَى السلفِ، وهي معروفةٌ لدى العلماءِ والمؤرخين:

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة [١/ ٣٠٤].

(٢) من جلة التابعين بالمدينة، مولى أم المؤمنين ميمونة، قال ابن حجر: ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة (٩٤) هـ.

روى ابن شبة بإسناد صحيح عن محمَّد بن عبد الله بن حسن[(١)] قال: «تَصَدَّقَ رسولُ الله ﷺ على المسلمين بأسواقِهِم»[(٢)].

وفي «الأم» للإمام الشافعي أن اسم سوق المدينة «البطحاء» فقد رَوَى في أبواب الجمعة عن إبراهيم بن محمَّد عن جعفر بن محمَّد[(٣)] عن أبيه[(٤)] قال: كان رسولُ الله ﷺ يخطب يومَ الجمعةِ، وكان لهم سوقٌ يُقَالُ لها البَطْحَاء كانت

---

(١) هو محمَّد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، ثقة، قُتِل سنة خمس وأربعين ومائة [التقريب/ ص٨٦٠/ طبعة دار العاصمة بالرياض].

(٢) ابن شبة [١/ ٣٠٤] قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال ثنا عبد الله بن جعفر، عن محمَّد بن عبد الله بن حسن..

(٣) هو جعفر الصادق بن محمَّد الباقر وهما إمامان ثقتان أما الراوي عنهما هذا الخبر فهو إبراهيم بن محمَّد بن أبي يحيى الأسلمي أبو إسحاق المدني فمتروك [انظر التقريب ص١١٥/ طبعة دار العاصمة] وكان الشافعي يوثقه ولذلك روى عنه.

(٤)

بنو سُلَيْم يجلبون إليها الخَيلَ والإبلَ والغَنَمَ والسَّمْنَ فقَدِمُوا فخرج إليهم الناس.. الحديث[١].

ورَوَى ابن شبة بإسناد صحيح عن ابن شهاب عن عروة ابْنِ الزبير عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنه كان يُقَالُ لسوقِ المدينةِ (بَقِيعُ الخَيْل)[٢].

وروى ابن زَبَالة[٣]: أنه ﷺ أمر عائشة رضي الله عنها

---

(١) الأم الطبعة المصرية القديمة / المصورة في بمباي [١/ ١٧٧] وفي طبعة بيت الأفكار الدولية [ص١٤٤]، وانظر مسند الشافعي [طبعة شركة المطبوعات العلمية سنة ١٣٢٧هـ] ص٢٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي [بتحقيق سيد كسروي حسن] [٢/ ٤٨٣] وفيه يروي الشافعي الخبر عن إبراهيم بن محمَّد ثني حفص عن أبيه وهو خطأ، ولم ينبه له المحقق.

(٢) ابن شبة [١/ ٣٠٦].

(٣) محمَّد بن الحسن بن زبالة المخزومي أبو الحسن المدني، قال ابن حجر: كذبوه، قلت وهذا كقوله في الواقدي: متروك مع سعة علمه، وقوله في حفص بن سليمان القارئ: متروك الحديث مع إمامته في القراءة. بينما أهل المشرق اليوم وقبل اليوم يقرأون القرآن بروايته وأهل العلم يأخذون المغازي عن الواقدي، ومثله ابن زبالة حجة في فنه وهي المغازي والسيرة وأخبار المدينة ونحو ذلك، وهذا من دقائق العلم الذي لا يفقهه كل أحدٍ.

بالذهاب إلى أبي بكر ومَوْلَيَيْهِ، وأنها رجعتْ وأخبرته بحالِهم، فكره ذلك، ثم عَمَدَ إلى بقيعِ الخَيْلِ، وهو سوقُ المدينة؛ فقام فيه ووجهُهُ إلى القبلةِ؛ فرفع يديه إلى الله فقال: (اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أَشَدَّ، اللهم بارك لأهلِ المدينة في سوقِهِم، وبارك لهم في صاعِهِم، وبارك لهم في مُدِّهِم، اللهم انقل ما كان بالمدينة من وباءٍ إلى مَهيعَة[1][2].

وهذه السوق اختطها رسول الله ﷺ ما بين المُصَلَّى إلى جِرَارِ سَعْدٍ[3] فالمُصَلَّى ومكانه اليوم «مسجدُ المُصَلَّى» أو «مسجد الغمامة» حدُّهُ من جهةِ القبلةِ، وجِرارُ سعدٍ حدُّهُ من جهةِ الشامِ، وجِرارُ سعدٍ هذه كانت لسعد بن عبادة كان يسقي منها الناسَ وكانت قُرْبَ ثنيةِ الوداع، وهي ثنية الوداع

---

(١) مهيعة: هي الجحفة [السمهودي ١/ ٥٨].

(٢) السمهودي [١/ ٥٧، ٥٨ و٢/ ٧٥٤].

(٣) المصدر نفسه [٢/ ٧٤٩].



(١٥) مسجد المصلّى «مسجد الغمامة» جنوبي السوق .



(١٦) سوق المناخة عام (١٣٢٩هـ) .

الشامية -وكان فوقها مسجدٌ في أول شارع «سلطانة»..

وكان أولُ السوقِ مما يلي خاتمةَ البَلَاط الغربيِّ يُسمى «الزَّوْرَاء»، وهو بالقرب من مشهد مالك بن سنان[١] وروى ابن شبة عن يحيى بن محمَّد بن الحكم بن ميناء قال: أدركت سوقاً بالزَّوْرَاء يُقال له «سوقُ الحرص» كان الناس ينزلون إليها بدَرَجٍ[٢].

وأما ما سبق ذكره من تسمية سوق المدينة ببقيع الخَيْلِ فهو جزء من السوق وهو ما يلي «المُصَلَّى» وربما هي التي تُسمَّى أيضاً «البطحاء»، وكانت سوقاً يُجْلب إليها الخيلُ والإبل والبقر والغنم والسمن، وسوق بقيع الخيل هذه هي المقصودة بقول ابن عمر رضي الله عنهما: إني أبيع الإبل بالبقيع بالدنانير وآخذ مكانها الدراهم[٣].

---

(١) المصدر نفسه [٢/ ٧٤٧].

(٢) ابن شبة [١/ ٣٠٦].

(٣) رواه الأربعة، وأحمد في مسنده [انظر المسند بتحقيق أحمد شاكر ٩/ ١١٠].

ومن بقاع سوق المدينة هذه «بِرْكَةُ السوق» ورُوي أن النبي ﷺ كان يقوم عندها فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد، وقيل كان يدعو هنالك[١] .

وبِرْكة السوق هذه هي المَنْهَل الذي يُنزَل إليه بدرج عند مشهد النفس الزكية من عين المدينة على يسار الذاهب إلى ثنية الوداع[٢] وقد أَدْرَكْتُ هذا المنهلَ قبل أن يُهدَمَ، كان يسميه أهل المدينة «عَيْنُ الزَّكِي» .

المهم هنا أن سوق المدينة بقيت سوقاً إلى عهد قريب وكان يُسَمَّى «المَنَاخَة»، فكأنَّ من سَبَقَ من الملوك والسلاطين والولاة والأمراء حرصوا على إبقائها كذلك محافظةً على وقفِ النبيِّ ﷺ ..

ففي عهدِ إمارةِ عمر بن عبد العزيز على المدينة أُعلِنَ

---

(١) وفاء الوفاء [٢/ ٧٥٥] .

(٢) المصدر نفسه [٢/ ٧٥٦] .



(١٧) سوق باب المصري قبل هدمه .

كتابُهُ لمن كان بالمدينة: «إنَّما السوقُ صدقةٌ فلا يُضربَنَّ على أحدٍ فيه كِرَاءٌ»[١].

وعن ابن أبي ذئب[٢] أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ على خيمةٍ عند موضع دار المنبعث -أي في السوق- فقال: (ما هذه الخيمة؟) فقالوا: خيمة لرجل من بني حارثة كان يبيع فيها التمر. فقال: (حَرِّقوها)، فحُرِّقت.

قال ابن أبي ذئب: وبلغني أن الرجل محمَّد بن مسلمة[٣].

وروى ابن شبة عن أبي مودود عبد العزيز بن أبي سليمان[٤]

---

(١) وفاء الوفاء [٢/ ٧٤٩].

(٢) هو محمَّد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب القرشي العامري أبو الحارث المدني، ثقة فقيه فاضل، تُوفِّي (١٥٨هـ).

(٣) وفاء الوفاء [٢/ ٧٤٩].

(٤) هذا هو الصواب في اسمه وكنيته وفي وفاء الوفاء طبعة محمَّد محيي الدين عبد الحميد: «عن أبي مردود عبد العزيز بن سليمان»، وهو خطأ، وعبد العزيز هذا هو الهذلي مولاهم أبو مودود المدني القاص، مقبول، المتوفَّى سنة (هـ).

أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى كِيرَ حدادٍ في السوق، فضربه برجله حتى هدمه، وقال: أَتُنتَقَصُ سوقُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم[١].

وعن حاتم بن إسماعيل عن حبيب قال: مَرَّ عمر بن الخطاب على باب مَعْمَر بالسوق وقد وضع على بابه جرةً، فأمر بها أن تُقلع، فخرج إليه مَعْمَر فقال: إنَّما هذه جرة يسقِي فيها الغلامُ الناسَ. قال: فنهاه عمر أن يحجر عليها أو يحوزها.. قال: فلم يلبث أن مرَّ عليها وقد ظلل عليها، فأمر عمر بالجرة والظل فنزعهما[٢].

فهذه النصوص تدل على عناية النبي ﷺ، وعناية الخلفاء والأمراء من بعده بأن تبقى هذه السوق مشاعةً حرةً لا تُتملَّكُ ولا يُحْتَجَزُ منها شيءٌ، بل هي مَنَاخٌ لِمَنْ سَبَقَ.

(١) وفاء الوفاء [٢/ ٧٤٩].

(٢) وفاء الوفاء [٢/ ٧٤٩].

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

يطلب من المؤلف:
بالمدينــة النبويــة
فاكس (٨٤٧٥٠٠١)
ص ب (٢٠٨)